10me Année No. 452

Lundi 2 - 3 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٥٢ « القاهرة في يوم الإثنين ١٥ صفر سنة ١٣٦١ — الموافق ٢ مارس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــــــرس

من صور الريف

على المصطبـــــة

على المصطبة الغبراء وفوق حصيرها الخشن جلس (البك) وفى عينيه نظرة يكسر من طولها الخجل ، وعلى شفتيه بسمة يمد فى عرضها الملق ، وفي يمناه مسبحة يقطر من حباتها الرياء ، وفى يسراه صحيفة وفدية لا تزال على طيّة البريد ، وتحت قدميه بقية من وَحل الشتاء تهدد حذاءه اللامع ، وبين يديه وعن يمينه وعن شماله جلس الفلاحون يسارق بعضهم بعضاً نظر المستفهم عن سرّ هذا التواضع الغريب ، وسبب هذا التنازل المفاجئ ، ورب الدار يذهب ويجيء فى ربكة تبدو دلائلها على حركاته المضطربة ، وكلماته المتقطعة ، وتحياته المتكررة

صحيح أن صاحب المصطبة رفيع الصوت فى القرية ، نافذ الرأى فى الناس ؛ ولكنه منذ أيام قلائل كان فى (دائرة) البك فريسة لغضبة هوجاء من غضباته أخذته بالشتم واللطم والسخرية ، لأنه جرؤ على أن يسأل (الكاتب) عما له من حساب الإجارة ، وأن يعترض على (الناظر) فيما عليه من نفقات الإدارة . ومن العسير على المنطق المحض أن يستخرج هذه النتيجة من تلك المقدمة !

كان البك المالك يرد التحيات الساذجة بالانحناء والإيماء والتحنى ؛ فكأنما انقلب جانبا معطفه الأسود جناحين رءومين يرفرف بهما على بنيه ! وكان أكابر القرية قد تسامعوا بمقدم

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(مالـكهم) على حال من التطامن والتبسط لم يألفوها منه ، فأقبلوا على المجلس الذى شرفته سيارته بالوقوف عنده

ومهما يكن البك عيّ اللسان كليل الذهن فلا بد أن يتكلم ليكشف عن سر قدومه . وقد استأذنت الشيخ منصورا راوى هذا الحديث أن أترجه بلغة الناس فأذن

قال البك : لم أزركم منذ خمس سنوات لأن أعمال مجلس النواب لم تدع لى وقتاً يتسع للاهتمام بأسرتى ، ولا للتفكير فى معدتى ، فكنت فى أغلب الأحيان لا آنس بأهلى ولا أهنأ بطعامى ...

فقال الشيخ منصور مقاطعاً : ولـكننا يا صاحب السعادة لم نقرأ لك كلمة واحدة فى محضر من محاضر المجلس .

فقال البك : ذلك لأن فى المجلس فريقاً يتكلمون وفريقاً يعملون ؛ وأنا من هذا الفريق

فقال الشيخ منصور بلهجة المستدرك الخبيث : ولـكنك لم تفارق العزبة فى أكثر الأيام التى ينعقد فيها المجلس !

فقال البك : ذلك لأن الـكلام يكون فى داخل المجلس ؛ وأما العمل فيكون فى خارجه

واندلق مالك القرية فى الـكلام ليأخذ على الشيخ منصور سبيل الرد فقال : وقد أخذت الحـكومة برأيى فى كثير من مشكلات التموين وأزمات الحـكم ، واستفاد النواب من اقتراحاتى واعتراضاتى فى (بوفيه) المجلس وفى لجانه ؛ ولـكنى إذا انتخبت هذه المرة فسأوزع مواهبى وجهودى بالعدل بين الحـكومة والأمة ، وبين القرية و (الدائرة) . سأنظر بعين الرحمة إلى ما يكابده إخواننا الفلاحون من الغلاء المرهق ، والعناء المعنّى ، والمرض المضنى ، والجهل المطبق ، والعيش الخسيس ؛ فأخفض الإيجار ، وأردم البرك ، وأرمم المسجد ، وأعيد المدرسة ، وأحمل الحـكومة على أن تمدكم بالماء النقى والنور الـكهربائى ، وأن تخصكم بوحدة طبية أقل ما يكون فيها صيدلية وطبيب .

ولعلى بذلك أكون قد أوفيت لـكم بذمتى ، وقضيت للوطن واجب خدمتى ، وأديت لله زكاة قدرتى وثروتى

وكانت عين البك لا تنفك تراقب وجه الشيخ منصور ، فلما رآه يتحفز للـكلام بادره بقوله :

— وأنت يا شيخ منصور ! ما هذا الحديث الذى قرأته لك فى (الرسالة) ؟

— أى حديث تعنى يا بك ؟

— حديثك عن صحة الفقير وثروة الغنى

— لقد قلت شيئاً كهذا ولـكنى لم أنشره

— زرنى غداً فى العزبة فأريك عدد الرسالة وأسر إليك بعض الحديث

قال البك ذلك ونهض فودع الناس ثم ركب سيارته الفخمة وذهب يعيد هذه الأسطوانة نفسها فى قرية أخرى !

وأقبل القوم بعضهم على بعض يتساءلون : لماذا يُعَنّى البك نفسه هذا العناء ، ويستخذى للناس هذا الاستخذاء ، وهو بحمد الله ضخم الثروة فلا يحتاج إلى مكافأة البرلمان ، زَمِنُ المروءة فلا يصلح بطبعه لخدمة إنسان ؟ فقال الشيخ منصور : إن فى أربعين جنيهاً لَمَضْرِباً ، وإن فى مزايا النيابة لطاعية .

وإن الله الذى فطر بعض النفوس على الأثرة والشح جعل من خصائصها الوضاعة إذا تسامى المطلب ، والضراعة إذا تجافى المطمع . وقد رأيتم هذا الرجل المتكبر المترفع الكزّ كيف طامن من كبره ، وردّ من جماحه ، وبسط من يده ، لتعطوه أصواتكم فى الانتخاب ، حتى إذا انتخب عاد إلى معاملتكم بالسفه ، ومحاسبتكم بالدناءة ، واستغلالـكم بالشره ، ومقاطعتكم بالأنفة .

إنه هو وأمثاله لا يرون للفلاح قيمة ولا كرامة إلا مــ[illegible] الانتخاب . وقد كنا أحرياء ألا نعطى أصواتنا إلا من يعيش عيشنا ويشعر شعورنا ويتألم ألمنا ؛ فإن منطق الطبع يقول إن خصمك لا يدافع عنك ، وسيدك لا يحب حريتك .

فصاح أحد الحضور : ولم لا ترشح نفسك ونحن نضمن لك أصوات القرية ؟

فقال الشيخ منصور : إنى — وا أسفاه — لا أحرز من النصاب قيراطاً ، ولا أملك من التأمين بارة ! والنصاب والتأمين عقبتان وضعهما قانون الانتخاب فى سبيل الـكفايات الفقيرة ؛ كأن المال شرط فى صدق الجهاد للوطن ، وإخلاص النيابة عن الأمة ! وإن مثلك فى ضمان أصوات القرية واستسهال ما بعدها كمثل السائح الذى لقى فى بعض طريقه نعل حصان واحدة فالتقطها ثم ضمها إلى صدره وقال :

آه ! وافرحتاه ! بقى ثلاث كهذه وحصان ثم أركب !

(المنصورة) **احمد حسن الزيات**

٢ - الحيـــاة صادقة !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

وراثة التشاؤم — خطأ في فهم الفكرة الأساسية في الحياة — نتائج خطيرة تتصل بالعقائد الثلاث في الحياة وواهبها والانسان — الانسان مبعث أكثر الشر — ضيوف الحياة يسخطون على المضيف! — الحياة جديرة باختيار الخروج إليها من العدم — لا خلط بين عالم الطبيعة وعالم الانسان — في عالم الكلام كثير مما لا وجود له في الطبيعة — تنقيح سجل الفضائل وسجل الرذائل — الأخلاق ، تفاعلات ، أرضية وليست منزلة من السماء — إلى الذين يديمون التفكير في الانسان والطبيعة

قال المتنبي :

صحب الناسُ قبلنا ذا الزمانا ... وعناهم من أمره ما عنانا
وتولوا بغصة كلهم منـ ... ـه وإن سَرَّ بعضهم أحيانا
ربما تحسن الصنيعَ لياليـ ... ـه ولكن تكدر الإحسانا
وكأنا لم يرض فينا بريب الـ ... ـدهر حتى أعانه من أعانا
كلما أنبت الزمانُ قناةً ... ركب المرء في القناة سنانا !

وهكذا تلقى أكثر الناس ساخطاً على الحياة متبرماً بها ، ناقماً على القدر ، يستشعر في قلبه غيظاً دفيناً قد يكبته الإيمان حيناً وقد يبعثه الجحود أحياناً ، فيثور حتى يسخط على اليد التي أخرجته إلى الحياة ووضعت في قلبه شعلتها ... وقد وقر في الصدور أن الحياة محنة وعناء أكثر مما هي فرصة للذات واهتبال الخيرات واكتساب المعارف وخروج من دائرة الجمود والموت والعدم إلى نطاق الإحساس والانفعال والنمو والمعرفة .

وقد ترجم الأدب القديم والأدب الحديث عن تلك الآراء المتشائمة السوداء ترجمة ملأت كثيراً من الصحف ، وتوارثها الخلف عن السلف وزاد كل عصر في مجموعها ، حتى صارت نظريات مسلمة رضيها أكثر الناس وتدارسوها فيما بينهم وعلموها ناشئيهم قبل أن يختبر هؤلاء الناشئون وجوه الحياة بأنفسهم وتجاربهم ، فلوّنت مناظيرهم بالألوان القاتمة ، واستقبلوا الحياة بوجوه عابسة ، حتى في أدوار الشباب اللاهي القوي المتفتح الضليع الخليق بحب الكفاح وطلب المجد عن طريق القوة والفتوة ، وترصدوا الأقدار على أنها معادية لهم متربصة الشر دائماً بهم ، جاهدة أن تضع في سبيلهم العوائق والعراقيل ، كأن رب الأقدار مولع بالتنكيل والعذاب يصبه على من يخرجهم إلى رحاب ملكوته، مغرم بفرض الأوامر والنواهي التي لا معنى لها إلا إظهار السلطان وإرهاق عبده الإنسان ! فهم لذلك حريصون على اهتبال اللذات خلسة وجهرة ، وعلى الثورة على الأوامر والنواهي تحرراً وانطلاقاً ...

وقد وقر في الأذهان كذلك أن الدنيا لا احتمال لمكارهها وآلامها وتكليفاتها ، ولا طاقة للقلوب البشرية على حمل أماناتها وأعبائها ، فاجترّت الأفكار معاني العجز والكسل والتسليم الذليل القاصر الذي لم يحاول شيئاً أمام ما زعموه سلطة القدر ، ورددت الأفواه ألفاظ الجزع والهلع والضعف والقنوط والهروب من مواجهة الحياة ، وجلس الرجال، نعم الرجال ! عنصر الكفاح في الحياة مجالس الأطفال القاصرين العاجزين على التراب يبكون ويئنون ويضمرون الغيظ الأليم من الحرمان ، وينظرون إلى السماء نظر الفقد والثكل حتى يوم الإقبار ...

ومن هذه الفكرة الواحدة الأساسية الأولى ولدت جميع المصائب والمكاره التي ضاعفت سواد الحياة في نظر الناس وجعلتها سلسلة من الآلام ، وأخرجتها مخرج المأساة الدامية التي يدور فيها سوط القدر على ظهورهم وسيفه على رقابهم ...

* * *

كانت نتائج هذا الفهم المخطئ والوضع المغلوط لهذه الفكرة الأولى ، ذات أثر عميق في مجرى الحياة يتصل بالعقائد الأصلية فيها : وهي العقيدة في الحياة نفسها ، والعقيدة في واهبها ، والعقيدة في الإنسان ...

فأما العقيدة في الحياة فقلما تحظى من فكر الفرد أو فكر الأمة أو فكر الإنسانية بما يجب لها من التأمل والفهم قبل البدء بالسير في طريق الحياة . . . أعني عند تفتح المدارك وابتداء عهد الرشد وإدراك النسب الكثيرة بين الأشياء . . .

وإنك إذا سألت أكثر المتعلمين - دع الجاهلين - عن مدى فهمه لحياته وإحساسه بها ، وعن الفكرة الأولى التي بنى عليها معاني نفسه ، ووجه إلى قطبها إبرة قلبه ، وأدرك أنها هدف

الإنسانية جميعها وجدت أكثرهم يتلجلج ولا يكاد يبين ؛ لأنه دخل الحياة فى ذهول الطفولة ، ثم درج إليها فى عبث الشباب ، ثم أخذته غمرة مشاغل الجماعة فى عهد الكهولة ، ثم هدمته عقابيل المرض والانحلال فى عهد الشيخوخة ، وإذا هو بعد ذلك مدرج فى الأكفان ، ملقىً إلى ظلمات القبور .

هو فى مراحل عمره مشغول بكل شىء إلا ما يجب أن يشغل به أولاً ...

ولكن قد يصحو أحدهم من ذهول الطفولة أو من عبث الشباب صحوة المحموم الهاذى ، فترة قصيرة يرى فيها وجه الحياة ، ثم تعاوده أخذة الحمى فينتكس ...

وقد يدرك أحدهم وجه الحياة وهو فى مشاغل الكهولة ، ولكن يعز عليه أن يفارق طريق الجماعة ويبتدئ بناء حياته على ما أدرك فيمضى فى طريق القافلة التائهة ...

وقد يصحو أحدهم الصحوة الدائمة وهو فى انحلال الشيخوخة فيعوزه ويؤوده أن يجاهد فى سبيل إفهام الناس وإقناعهم بما أدرك فيمضى مغيظاً محسوراً يردد :

أواهُ لو عرف الشبا ... بُ ، وآهٍ لو قدر المشيب !

ما استقامت قناةُ رأيى إلا ... بعد أن عوَّج الزمان قناتى

فلا مفر إذاً من ترقب عهد اليقظة وتفتح المدارك عند الطفولة والشباب ، لإدخال الفكرة الصحيحة عن الحياة ، وغايتها إلى أذهانهم .

***

والفكرة الصحيحة — فى رأيى — عن الحياة هى فكرة التفاؤل الرحب والتأويل الواسع لما عسى أن يكون فى الحياة الطبيعية من آلام ، وفهم الحياة على أنها فرصة للفرجة والاطلاع على أسرارها ، وأنها سفر فى مجاهل الكون . ولا بد للسفر من بعض المشقة ... ولكنها ليست مشقة النزاع والخلاف بين الركب المسافر ، فإن ذلك جناية الركب وليست جناية الطريق ...

ومن الهين على العقل أن يهدأ ويستريح لهذه الفكرة متى أدرك أن دخولنا إلى الحياة لم يكن باختيارنا ، وأن إنشاء الكون وتهيئة الأرض وإعدادها للسكنى بالحرارة والماء والضوء والغذاء والهواء والإنبات والإنسال ليس لنا أيضاً رأى فيه أو اختيار ، فلا مفر لنا إذاً من الخضوع والتسليم والاندفاع مع عجلة الحياة ، والاجتهاد فى التحرى عن قوانين الطبيعة التى وجدنا أنفسنا فى نطاقها وإسارها ، والتلمس للغايات التى يصح أن تكون أهدافاً لإيجادنا فى الحياة

وما أريد أن أستند فى تركيز هذه الفكرة إلى دين متوارث أو إلى رأى مأثور ، وإنما الاستناد إلى الواقع المحسوس والمنطق الوضعى الذى فى الطبيعة .

ولو سألت الإنسانية نفسها : من أدخلنى إلى رحاب الحياة وجعلنى أحرص عليها مع أنى لم أدخلها باختيارى ؟ والتزمت ما يوحيه الجواب على هذا السؤال إذاً لنبت إيمان كل فرد من قلبه هو قبل أن يقرأ كتاب دين أو يرث عقيدة أمه وأبيه

لأن سر الحياة العميق الملتهب الذى يسكن أجسامنا يحملنا على المحافظة عليه دافع مبهم مجهول عجيب ! مهما لقينا فى سبيل الاحتفاظ به من آلام وعناء ... ولم يفر من حمله إلا الأقلون من المنتحرين ؛ وهم من القلة بحيث لا يعتد بهم

هذا الدافع العجيب هو صوت خفى بعيد عن غير « المؤمنين » وواضح قريب عند المؤمنين . وما يعنينا البحث عن الصوت الواضح عند هؤلاء ؛ وإنما يعنينا البحث عن ذلك الخفى البعيد عند أولئك ...

ونسألهم : لماذا لا يفرون من الحياة وينتحرون ما داموا بها غير مؤمنين ؟

لماذا يستمرون فى الصراخ والعويل والإزراء على الحياة والأقدار العمياء أو المبصرة ، واليد المقدرة أو الصدفة الخابطة . ويصدعون أسماع الناس بالأنين والتشاؤم مع أن الأولى بهم أن يريحوا أنفسهم من عناء الأحوال والأعمال والأقوال فيرجعوا إلى عالم الجمود والموت كما تمنى قائلهم :

ما أطيب العيش لو أن الفتى حجر ... تنبو الحوادث عنه وهو ملموم !

ونسألهم لماذا يقعد بهم الجبن عن مفارقة الحياة ثم تذهب بهم الشجاعة إلى السباب والسخط على من أدخلهم إليها ؟! فأين أدب الضيوف ؟!

إن للحياة نبأ عظيما يدركه الفكر القدر لتلك الأعمال العظيمة التى يدور بها دولاب الفلك فى هول واتساع وقوة ورهبة ! و « إن فى السماء لخبرا » كلمة جاهلية العصر ؛ ولكنها لباب العلم فى كل زمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وما يعنيني شخصيتي المحدودة ، ما دمت قد حظيت برؤية هذه الدار الهائلة ذات الأعاجيب اللانهائية .

وما تضيرني حوصلتي الضيقة المظلمة الفقيرة ما دمت قد رأيت رحاب الفضاء ومصادر النور وخزائن الغنى والثراء التي ما لهامن نفاد

لقد تمتعت على الأقل بأحلام الفاقدين وإنها لمتاع أي متاع !

وتطلعت إلى عالم الانطلاق وأنا في القيود ... وأدركت الباقي الخالد حين أدركت الفاني البائد . . .

وإنها لمانٍ جديرة أن يخرج إليها الإنسان باختياره من سكون العدم وجموده ، ويقتنها ببعض الآلام والمكاره ، ويصطبر على الحياة من أجلها حتى توفى إلى غايتها ، ويبالغ دائماً في حب من أخرجه إليها ...

* * *

ولكن أفي الحق أن طبيعة الحياة تحمل هـذا الجانب البالغ من المكاره التي يزعمها الناس ويتوارثون الحديث عنها ويفيضون فيه شعراً ونثراً وحكماً ووصايا وأمثالاً ؟ أم أن تلك المبالغة من جناية الإنسان الظلوم الجهول على الحياة وعلى نفسه وعلى واهب الحياة وبارئ النفس ؟

أم أنها من جناية « تجار الكلام ! » وحدهم الذين يرسلون زخرف القول غروراً لا يبالون ما فيه من الصدق أو الكذب ما داموا قد عبروا فيه عن حالة خاصة من مكارههم وسوداويتهم ، وما داموا قد أرضوا غرامهم الفني بحسن الصياغة والإغراب في المعاني والإتيان بغير المألوف وإرسال الخيال في أودية الأوهام والضلال؟

أما اعتقادي فهو أن الآلام الأصيلة في طبيعة الحياة قليلة جداً لا تتعدى ما يتصل بالكوارث الطبيعية والأمراض . وإن كانت الكوارث الطبيعية والأمراض قد تغلبت على الإنسان قديماً فهو الآن مستطيع دفاعها والتحصن منها وتقليل آثارها إلى حد كبير ، فلا داعي لاجترار أقوال المتشائمين القدماء .

وقلما تصيب الأمم كارثة طبيعية الآن . ولن يبلغ مجموع الكوارث الطبيعية عشر معشار ما كسبت أيدي الناس .وما بغى به بعضهم على بعض

فأكثرية آلام الإنسان ناشئة من جناياته هو على نفسه وعلى جنسه ، فهو يجني على نفسه بالإفراط في اللذات والشهوات حتى يتهدم جسمه ، وبالتفريط في وقايتها من أسباب الأمراض حتى يدب إليه المرض وآلامه ويتسرب منه لذريته

وهو يجني على جنسه بالشره والطمع فيما ليس له ، وبالتوزيع الظالم للثروة ، وباغتصاب حقوق الضعفاء والعجزة الذين لا يستطيعون حيلة ، وبحب الغلبة والتسلط وإهدار الدماء وإهلاك الحرث والنسل في سبيل ذلك ، وبتلويث الذرية بالأمراض الخبيثة ، وبالنزاع والخلاف لمجرد الحسد والحقد ومطاوعة الغرائز الدنيا التي يجب أن يحد من شرّتها ما دام قد ارتضى حياة المدنية والجماعة المتعاونة المتفاوتة في الكفايات

وإذا نحن تأملنا عالم الشر والألم وجدنا أكثر من تسعة وتسعين في المائة منه ناشئاً من جنايات الإنسان ، والباقي مرده إلى الأسباب الطبيعية

وصدق قول القرآن : « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا »

وصدقت الخنساء :

إن الجديدين في طول اختلافهما   لا يفسدان ولكن يفسد الناس

فليس من الإنصاف إذاً في الحكم على الحياة أن نخلط بين الأسباب الصناعية والأسباب الطبيعية للآلام فندخل جنايات الإنسان في نطاق الطبيعة ، ونجعل فساده سبباً في إرسال خواطر الشؤم والسخط على الحياة وواهبها ، وإنما الإنصاف أن نعمد إلى النفس البشرية فنجعلها في انسجام وتوافق مع قوانين الطبيعة فلا نضيف للطبيعة شراً ليس فيها ...

ونحن قد حملنا الأقدار العليا أكثر مما تحتمل ، فنسبنا إليها ما نقترفه نحن من جرائم ، وزعمنا أنها راضية عن حياة الاجتماع الحالية ، ووقفنا منها موقف اللائمين . ولو فهمنا الأقدار التي استأثرت بها اليد العليا والأقدار التي خولت الإنسان التصرف فيها ، وفهمنا القدرة العجيبة التي للفكر البشري والجهد البشري على تغيير الأوضاع في الأرض ، وتأملنا تغير الإنسان وثبات الطبيعة في دوراتها الأبدية الكبرى ، وطواعية كل شيء للإنسان بسلطان العلم والتنظيم ، وأخذنا عقائدنا في الحياة وفي النفس مما تسمح الطبيعة لنا بالتصرف فيه ، وأدركنا الخطوات السريعة التي خطاها الإنسان في سبيل الانطلاق والسيطرة والتحرر من القيود والقدرة على طرح كثير من القيود

على مرافق الطبيعة لتسخيرها ، إذاً لكان لنا من ذلك كله رأى جديد فى أنفسنا وفى الحياة وفى سلطاننا عليها ، ولحللنا ذلك على تلمس النقص والفساد فى نفوسنا لإكماله وإصلاحه لا فى الطبيعة البريئة من كثير مما تنسبه إليها .

ولكننا مع الأسف الشديد لا نزال نأخذ عقائدنا فى الحياة وفى الإنسان من منطق العجزة الأولين الذين كانت الأرض مغلقة الأبواب فى وجوههم ، وكانت الحياة جديدة عليهم ، وكانوا وسط ألغازها ومشقاتها كأطفال فى صحراء ، وكانت أكثر علومهم نظرية تجريدية تتخيل ، وتفرض وقليلاً ما تجرب وتعمل ، وكانت آراؤهم مبنية على ما يأخذونه من الاقوال المأثورة التى هى خواطر ابتدائية لفهم الحياة ، وكانت الأرض نفسها مبهمة مجهولة لديهم ، والأهوية والأمواه والنباتات والأمراض والنجوم ومواقع البلاد وأجناس العباد والجمادات والحيوان مجهولة العناصر والمناشئ ...

أما الآن فالناس جميعاً يقرءون أو تقرأ ناشئتهم المثقفة على الأقل كتاباً واحداً هو الطبيعة ذات العلوم « الموضوعية » التى لا تتبدل بتبدل الأمكنة والأزمنة والأجناس

فجدير بهم أن يأخذوا عقائد جديدة من الحياة الجديدة . ولا شك أنها ستكون واحدة لوحدة المصدر الذى يأخذونها منه ؛ ثم يرتدوا بعد ذلك للعقائد المسطورة فى الصحف الموروثة ، فما وجدوا فيه مصداقاً لما أخذوه من الطبيعة أبقوه ، وما وجدوا فيه خلافاً عليها طرحوه وراءهم ظهرياً ، وحاذروا أن يلقنوه الناشئين فيزيفوا عقائدهم .

* * *

أجل ، فى عالم الكلام المسجل كثير من القضايا التى لا وجود لها فى الطبيعة . وكل ما فى الطبيعة حق يجب الاعتراف به حتى الشر ! فهو مخلوق بالحق وللخير : يخدمه ويشير إليه

ولو علم المتكلمون ووارثو الكلام أنهم كثيراً ما يقولون ما ليس له وجود ، وأنهم يخلقون عوالم من الأفكار والآراء لا تمكن الحياة فيها ، وأن الأحلام والأمانى الكواذب وضباب الأفكار كثيراً ما تسبق إلى ألسنتهم وأقلامهم ، إذاً لحرصوا غاية الحرص — إن كانوا أمناء على الحياة — على أن يكون كلامهم وفنهم مرآة للحق الذى فى الطبيعة وحده !

إن الطبيعة ثابتة كما نعلم ، ولكن النفس فيها طبيعة التغير والتطبع والمرونة تحت تأثير الأفكار ، والأفكار أمهات الأعمال وضلال أكثر النفوس ناشئ من أنها لم توضع فى المواضع التى تتسلط عليها فيها عوامل الطبيعة المباشرة ليكون عقلها صورة من التجارب التى فيها ، بل وضعت تحت تأثير تلك الأقوال المغلوطة عن الحياة والقدر والعجز الإنسانى والأحلام الكواذب فهى تنظر للحياة بما فى نفوسها من آثار ذلك وتحكم عليها به

ولو ذهبت أتقصى الضلالات المسطورة فى الكتب والموروثة فى العقول سواء فى الفضائل أم فى الرذائل ، إذاً لأخرجت عدداً من الفضائل ووضعته فى الرذائل وعكس ذلك

وكم أود لو ظفرنا باستخلاص الأخلاق الإنسانية الثابتة من الطبيعة وحدها حتى نضع من ذلك قانون الأخلاق للجميع ! وإن الأخلاق تفاعلات بين النفس والطبيعة وبين النفوس والنفوس ، وليست منزلة من السماء ، وإنما الذى ينزل من السماء هو الإرشاد إليها حين يضل الإنسان طريقها .

* * *

إن العلم الطبيعى هو أعظم أبواق الحياة فى دعوة الناس إلى اللقاء والسير فى طريق التعارف والتكافل . والشقاء الحالى الذى تصلى الإنسانية بنيرانه ناشئ من أنها لم تستجب لدعوة العلم والخضوع لما يوحيه من وحدة المصلحة والمنفعة والطريق ...

وفى اليوم الذى تتسع فيه أخلاق الفرد لبنى أمته وأخلاق الأمم بعضها لبعض ، ويؤمنون بضرورة ضبط النفوس وتوزيع الموارد الاقتصادية — وهى كثيرة كافية فى الطبيعة — توزيعاً عادلاً ، والتعاون على مكافحة الشر والألم : الشر الذى مبعثه الغضبية والأنانية الفردية والقومية ، والألم الذى مبعثه أذى الطبيعة وآفاتها ؛ فلا شك يسعدون فى جنة موقوتة يجدونها فى الأرض قبل الجنة الموعودة فى السماء !

قد يبدو هذا الكلام لكثير من الذين لا يدمنون التفكير فى الطبيعة والنفس والقضايا العليا للوجود ، المغمورين بالمنازعات والشهوات ، غير المعنيين بالسؤال عن وضع الإنسان فى الحياة ، الخاضعين لسلطان الأنانية الفردية والقومية ، الجاهلين خطوات سير الإنسان منذ وجوده ساذجاً إلى صيرورته عالماً معقداً ، الذين لا يسألون عن ماضى الإنسانية ولا يتساءلون عن مستقبلها ، وإنما يدخلون الحياة ويخرجون منها كأنهم أوراق أشجار تجيئ

للحقيقة والتاريخ

٢ – بين آدم وحـــواء

للدكتور زكى مبارك

أرجع ثانيةً إلى الغرض من هذه الأحاديث فأقول :

كتاب شيث بن عربانوس يؤرخ عهد آدم فى الجنة وعهده فى الأرض ، وكان ذلك لأن المؤلف قريب الزمن نسبيًّا من هذين المهدين ؛ فقد وُلد فى العام الثانى بعد انحسار الطوفان ، وإذاً فهو أقدم نسل حفظته الأرض بعد نجاة من نجا من قوم نوح ، وأول عقلية علمية فى ذلك العهد البعيد ، إن صح أنه شخصية حقيقية من شخصيات التاريخ

ولكن ما قيمة هذا الكتاب ؟ وما وزنُ حديثه عن آدم وحوّاء ؟

عرضتُه على دار الكتب المصرية وعلى مكتبة وزارة المعارف وعلى مكتبة الجامعة المصرية فلم أجد من يعترف بقيمته التاريخية ، وإن كان مكتوباً بالخط الكوفى ... وهل كنت أجهل أن الطعن فى صحته من الممكنات ؟ إنما كان همى أن أنتفع بثمنه ، وأن أمكّن الجمهور من الاطلاع على ما فيه من مقاصد وأغراض ، ولكن الأمل فى الانتفاع بثمنه أمسى خيالاً فى خيال ، ولو ثبت أنه نسخة قديمة من نسخ الإنجيل ، وهل زكّتنى سفارة غربية أو شرقية حتى أبيع من المخطوطات ما أشاء ...؟ أنا مصرىّ وآبائى مصريون ، فكيف أنتفع من مصر باسم العلم والأدب والتاريخ ؟

ألم تسمعوا حديث الأجنبىّ الذى استمصر فى سنة ١٩٣٧ ؟

كان أحد الأجانب يدرّس إحدى اللغات الحية بالمدارس الأميرية وبالمرتب الذى يتقاضاه الأجانب من المدرسين ، ثم لاحت له فرصة للتجنس بالجنسية المصرية ، فأسرعت وزارة المعارف وردّته إلى « الكادر » الذى تعامل به المدرسين من المصريين ، كأنه انتقل من الهُدى إلى الضلال ؛ وكان الظن أن تراه انتقل من الخوف إلى الأمان !

وإذا كانت المتاعب تُلاحق من يَستمصر من الأجانب ، فكيف تصنع بالمصرى الأصيل ؟ !

إلى الله يشكو المصريون شقاءهم وعناءهم من التغاضى عن حقهم فى الانتفاع بثمرات البلاد !

إلى الله نشكو الغربة فى الوطن الغالى ، ومنه نستمدّ العون على مكاره الزمان !

ما لى ولهذه الخواطر المزعجات ؟ وهل قلّت المتاعب الجديدة حتى نؤزّرها بمتاعب قديمة تأخذ وقودها من الذكريات ؟

أرجع إلى الغرض مرة ثالثة فأقول :

قبل الشروع فى تلخيص كتاب شيث بن عربانوس أسجل أنى غير مطمئن إلى أنه ألف فى العصر الذى تلا الطوفان — وما أقول بأن ذلك مستحيل — فقد يكون من الممكن أن ننظر إلى الطوفان من وجهة معنوية ، فنعدّه مرحلة من مراحل الغفوات الروحية فى الحياة الإنسانية ، ونعدّ العصر الذى تلاه عصر يقظة ونهضة وإحياء ، وعندئذ يصبح من السهل أن نفترض أن ذلك العصر يَصلُح لما صدر عن شيث بن عربانوس من أفكار وآراء

ولكن هنالك عقبة تمنع من ذلك الافتراض ، وهى إجماع الكتب الدينية على أن الطوفان وقع بالفعل ، وأنه لم يبق من السلالة الإنسانية إلا ما حفظته سفينة نوح ... ومن الواضح أن تلك البقايا كانت فى شغل بتدبير حياتها الماشية ؛ فمن العسير أن نتصور أنها عرفت التأليف والمؤلفين إلا إن توغلنا فى شعاب الفروض ! ؟

وتذروها الرياح ، أو تحرق فى المواقد ، أو تطرح فى المزابل والعفونات ، أو كأنهم ذئاب عاثية خلقت للشر والفتك ، أو خرفان بلهاء خلقت للذبح والافتراس ، أو ذباب قذر يطير ويحط على الأقذار . . . الذين لم يأخذوا من الطبيعة أسرارها أو يعملوا فيها عملاً عظيماً ، أو يصافحوا يد الله على بساطها ويأخذوا منها بعض أفانين صنعها ... الذين يولدون عمياً ، ويعيشون عمياً ، ويموتون عمياً . . . قد يبدو هذا الكلام لدى هؤلاء بعيداً أو مستحيلاً ...

ولكن الذين تركوا حماقات الأنفس وضلالات الجهل وتجردوا للحق ، واتسعت نفوسهم باتساع الطبيعة ، ونظروا لقضايا الوجود نظرة الاهتمام ، وعرفوا أن وسائل تحقيق هذه الآمال حاضرة ... يرون كل أولئك حقاً لا شك فيه !

عبد المنعم خلاف

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يضاف إلى ذلك أن المصادر التى تحت أيدينا لم تتحدث عن شيث بن عربانوس ؛ ولم نسمع أن اسمه ورد فى كتب المستشرقين ـ وهم حجة فيما يتصل بمجاهل التاريخ فى الشرق ـ وقد يعرفون منه ما يجهل الشرقيون !

فأين وجد زكي باشا ذلك الكتاب ؟

كان فى النية أن أوجه إليه هذا السؤال ، ولكن المنية عاجلته فقضت بأن تطول الحيرة فى مصدر ذلك السِّفر الغريب

وفى الحق أنى غير مصدّق لكتاب لغتُهُ العربية مع أنه أُلِّفَ بُعَيْدَ الطوفان

وهنا أذكر حادثةً فى نهاية من الغرابة ، ولكنها وقعت على مسمع من جمهور كبير فى أروقة السوربون يوم أديت امتحان الدكتوراه فى الخامس والعشرين من أبريل سنة ١٩٣١ ؛ فقد حاجَّنى المسيو ماسينيون حجاجاً عنيفاً حين رآنى أنكر أن تنشأ اللغات بالتوقيف . . . وإن عادت الدنيا إلى ما كانت عليه ورأيت المسيو ماسينيون بعافية فسأراجعه فى هذا الحِجاج ؛ فما يستطيع ذهنى أن يسيغ فكرة التوقيف ؛ وإنما أعتقد أن اللغات ظاهرة إنسانية يصنع بها التطور ما يصنع على اختلاف الأجيال

المهم أن أسجل أنى مرتاب فى كتاب شيث بن عربانوس ، ولن أقبل نسبته إلى ذلك العهد البعيد ، العهد الذى تلا الطوفان . وأين نحن من الطوفان وهو صورة حائرة لم يبق من ملامحها غير أطياف ؟

فمتى أُلف هذا الكتاب ، إن صح ذلك الارتياب ؟

إن لغته مزيج من القرشية والحميرية ، فهل أُلف قبل أن تصير لغة قريش لغة التخاطب والتأليف فى أشتات الجزيرة العربية وفيما خضع لسلطانها الأدبى من الممالك الإسلامية ؟

ألا يكون مؤلفه صنع ذلك عمداً على سبيل التضليل ؟

الله وحده هو الذى يعلم ما مرّ بهذه الوثيقة التاريخية من تمحّل واحتيال

المشكلة الأساسية

أترك الكلام عن صحة كتاب شيث ، وأنتقل إلى تشريح ما فيه من معانٍ وأغراض فأقول :

يقع الفصل الأول فى صفحات تصل إلى الخمسين ، وفى هذا الفصل نقض للنظرية التى تقرر أن آدم استكان لحواء ، فتركها تمضى الله كيف تشاء ، فالمؤلف يقرر أن آدم كان تعب من الإقامة فى الجنة ، وكان يتمنى لو استطاع أن يخرج منها بأى حال وعلى أى أسلوب ليتنسم روح الوجود ، لا رَوْح الخلود ، فقد كان يعرف بفطرته أن الخلود إنما يأخذ صورته من الوجود[1]

وثورة آدم على الجنة لها أصل : فقد كان يرى أنه لا يليق بالإنسان أن يأكل طعامه بلا جهاد ، وكان يرى من الضعة والمهانة أن يُترك المرء بلا متاعب ولا تجارب ، وهو لم يخلق إلا للكفاح والنضال

وزاد فى همّ آدم أن حوّاء كانت فى الجنة بلا ضَرّة ، فلم تقهرها الغيرة على التسابق إلى مواقع هواه ؛ بدليل أنها كانت تنساه أو تتناساه عاماً أو عامين ، بلا تلهّف ولا تشوّف ، لأنها تعلم أنه لن يكون لسواها من النساء ، ولو أضمر من ضروب الخيانة ما يريد خياله الحبيس ، وإلا فكيف جاز أن تقضى فى الجنة أعواماً بلا تبرّح ولا اختيال ؟

وفى هذا المقام نقل شيث أبياتاً عزاها إلى آدم عليه السلام ، وهى من النظم الركيك ، فلا موجب لإثباتها فى هذا التلخيص ، ويكفى أن نشير إلى معناها لجودته وصدق مغزاه ، وهو يقول بعبارة صريحة إن حواء لم تكن تفرق بين البلادة والعقل ، ولم تكن تعرف أن التودد إلى الرجل والترامى عليه فى رقة ودلال لا ينافى الأدب والحياء

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كذلك قال آدم فى رواية شيث . وعلى فرض أن الرواية صحيحة فآدم مخطئٌ ـ وأنا أريد آدم الرجل لا آدم الرسول ـ وإنما أخطأ لأنه تصور أن التلطف يجب أن يصدر أولاً عن المرأة والتلطف ، هنا معناه الفتك وهو من جانب المرأة دلال ، ومن جانب الرجل صيال

إذا كانت حوّاء أجرمت فى ترك آدم عاماً أو عامين فآدم أجرم أيضاً بسكوته عن شكل تلك الظبية النفور بشكال من الحب العارم والوجد المَشْبوب

وهنا تظهر مفاجأة من أغرب المفاجآت ، فشيث ينقل عن تأملات آدم خطرات تبدد ما وجهنا إليه من اعتراض

وسأنقل تلك الخطرات بعبارة سهلة تقرّبها من أذهان القراء بعض التقريب « لأنها فى لغة شيث لا تخلو من غموض والتواء » ثم أنقدها برفق رعاية لمكان ذلك الجد الجليل

كان جلوس آدم على شطٍّ الكوثر من وقت إلى وقت يوحى

---

(١) نحن لا نوافق شيث بن عربانوس فى كل ما رواه ، والغرض هو تقديم صورة جديدة من آراء لم تكن معروفة من قبل

(الرسالة) : ونحن نقول مرة أخرى إن الدكتور مبارك كاتب مدود فعلية وحده تبعة ما فى رأسه من آراء ، وما فى مكتبته من كتب

إليه أفكاراً في غاية من الطرافة النسبية ، لأنه أول إنسان شهد الوجود ، على أرجح الفروض(١)

كان يعرف أن الجنة في غاية من العرض والطول ، بحيث تتسع لسكان الأرض والسموات(٢) فكيف جاز أن لا يكون فيها غير نهر واحد ؟

كذلك قال آدم في رواية شيث ، وهو قولٌ خاطئ ، فوحدة النهر في الجنة لها مغزًى جميل ، لأنها تردّ أهل الجنة إلى مزاجٍ متقارب في فهم الأشياء . وهل يختلف سكان الأرض إلا باختلاف الطعوم فيما يأكلون وما يشربون ؟ لو اتحد مذاق الطعام والشراب بين جميع سكان الأرض لقل بينهم الخلاف . ألم تروا كيف تختلف الطبائع بين الحيوانات اللحمية والحيوانات النباتية ؟

إن القط في صورة الأسد ، ولكنه ليس في صولة الأسد ، لأن معدته لا تأخذ من اللحم إلا عُشْرَ معشار ما تأخذه معدة الأسد ؛ وهو يروّع الكلب الضخم بأقل إشارة ، لأن الكلب لغفلته قد يكتفي بالأطعمة المكونة من عناصر نباتية !

وما أقول بأن اللحم أفضل من النبات في جميع الأحوال ، وإنما أقرر أن اختلاف الأغذية هو السبب في اختلاف الطبائع . وكذلك أقول في اختلاف الفصول ، وهل كان اطراد الجوّ في الجنة على نسق واحد إلا بشيراً بما سيكون بين أهل الجنة من وفاق وصفاء ؟

وكانت غيبة حواء عن آدم توحي إليه التفكير في منافع الأعضاء

كان يتأمل فيرى أن الله خلق للانسان عينين وأذنين ولساناً واحداً فما سر ذلك ؟

يجيب آدم — فيما روى عنه شيث — بأن الله أراد أن يكثر زاد الإنسان من المرئيات والمسموعات ، ولا بأس بأن يقل نصيبه من المنطوقات ؛ لأن الرؤية والسماع من ضروب الانتهاب ، أما النطق فمن صنوف الإعطاء ، والانتهاب هو الشاهد الأول والأخير على قوة الحيوية ، أما الإعطاء فهو تسليم وانسحاب

وقد ابتسمت حين قرأت هذا الكلام ، فمنه أخذ الشاعر الذي سجل أن المرء يقبض يده عند الولادة ويبسطها عند الموت ، وإن جهل التعليل على وجهه الصحيح

وتحرير هذا المعنى أن المرء عند الولادة مقبل على الحياة ، فهو يقبض يده ليشير إلى أن وظيفته هي الأخذ والنهب ، وهو يبسط يده عند الموت ليشير إلى أن التبذير من صور الفناء

ثم يمضي آدم في تأملاته فيقول : كيف يقنع من رزق عينين باصرتين بوجهٍ واحد : هو وجه حواء ؟ وكيف يقنعُ من رُزق أذنين واعيتين بصوتٍ واحد : هو صوت حوّاء ؟

ومن هذا التأمل العارم كان ضجر آدم من وحدته في الفردوس

ويظهر أن آدم كان وُهب فكرة الاعتراض والجواب ، فقد خطر له أن حواء لها أيضاً عينان وأذنان ، وأن من حقها أن تفكر في مثل ما فكر فيه ، إن أقيم للعدل ميزان

ثم يجيب آدم بأن تساوي الجوارح بين الرجل والمرأة ليس دليلاً على التساوي في المواهب ولا دليلاً على التساوي في الإحساس .

ويبلغ غاية الشوط فيقرر أن المرأة كانت بعينين وأذنين لأنها أخذت من ضلع الرجل فهي من صوره الوجودية ، أو هي الشكل الذي يرضيه أن تكون عليه ليتم بينهما الانسجام في حدود الإمكان

وأقول إن هذا الكلام هداني إلى كثير من المعاني :

فالحوَل يكثُر في النساء ويقلّ في الرجال ، ومعنى ذلك أن للذكر مثل حظ الأنثيين ، حتى في القوة البصرية(١)

وإذا وُجد العوَر في إحدى السلالات فالطفلة ترثه قبل الطفل

وإذا كان أحد الأبوين غبياً دميماً وثانيهما ذكياً جميلاً فالغالبُ أن يرِث المولود الذكر ما عند أبويه من الذكاء والجمال(٢)

ويؤيد هذا أن الديك أجمل من الدجاجة ، وأن الجواد أجمل من الفرَس ، وهذا الحكم مطّرد في أكثر المخلوقات ، وهو يظهر واضحاً في أشجار التوت ، بغض النظر عن ظهوره في سائر الأشياء

وإذا صدقنا رواية شيث عما كان بين آدم وحوّاء فلن يفوتنا أن نسجل أن آدم هو الذي نطق قبل أن تنطق حواء ، وهل كان لتلك المرأة تاريخ في الجنة غير انصياعها لدسيسة الحية ، وعن الأنثى تنقل الأنثى أصول الفساد ؟

الظاهر أن للذكورة خصائص لا تصل إليها الأنوثة بأي حال .

والظاهر أيضاً أن الرجال لن يزالوا بخير ما فطنوا لمكر النساء .

وهل انخدع آدم بحيلة حواء أو حيلة الحية إلا في لحظة من لحظات الضعف(٣) ؟ !

(١) لهذه الاشارة معنى سنرجع إليه حين يجيء مكانه من هذه الأحاديث
(٢) هل كانت عند آدم فكرة عن الأرض والسموات ؟

(١) سنرجع إلى هذا المعنى بشيء من التفصيل
(٢) واللون أيضاً يرثه الذكر قبل الأنثى
(٣) سيجيء لهذه النقطة توضيح في كلام شيث

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأستطرد قليلاً فأقول :

وقع في هذه الأيام حادثٌ فظيع ، هو اصطدام أحد كبار الموظفين بسيارة يقودها أجنبيٌّ سكران ، وعُلّق الموظف بعقدّم السيارة ، ومضى السائق ينهب الأرض لينجو من العقاب . وتنبهتْ لخطر الفادحة سيدة مثقفة ، فمضت بسيارتها في ملاحقة ذلك الجاني الآثم ، ولكنها فوجئت بإشارة المرور فوقفتْ ! !

وهنا الشاهد الذي أريد : فلو كان في سيارتها رجل لداس إشارة المرور في سبيل الواجب ؛ ولم يترك ذلك الجاني الهارب بلا اقتناص أو افتراس

هي امرأة وإن نالت إجازة الحقوق ، وطاعةُ إشارة المرور هي في نفسها الصورة الحرفية لطاعة الواجب ، أما تشريح هذه الدقائق فهو من خصائص الرجال ، والرجل هو الذي يدوس جميع الأنظمة في سبيل الإعزاز لما يؤمن بأنه حق

وجملة القول أن سخرية آدم من مواهب حوّاء لم تكن طغياناً في طغيان ، وإنما اعتمدت على قواعد وأصول . ولم تقع من آدم إلا لأنه كان يستوحي الفطرة والطبع ، ولو أن الجنة لعهده كان فيها مدارس وكليات لكان من المرجح أن يكون حديثه عن حوّاء مُغلّفاً بالرياء !

ثم تجيءُ عقدة أغرب وأعجب ، وهي تفكير آدم في مسألة النسل ، وهي مسألة لم يفكر فيها آدم إلا بعد تأمله لما في الجنة من فصائل الطير والحيوان ، ولم يكن فطن إلى أنها مسألة تلحق عالم النبات ، وقد تمس عالم الجماد

ومن كلام شيث نفهم أن تفكير آدم في مسألة النسل لم يصر من المعضلات النفسية ، وإنما كان يعتاده من حين إلى حين ، ثم ينصرف عنه بالاشتغال بمداعبة حواء ، كأن يرميها بنواة من نوى الجوز ، أو يقذف بها في « الكوثر » على حين غفلة ، أو يدوس شعرها الذيّال

والحق أن عقم آدم وحواء في الجنة يحتاج إلى تأويل

أليس من العجب أن يكون ما في الجنة خصباً في خصب ونماء في نماء ، إلا فيما يتصل بآدم وحواء ؟

كان الشجر والزهر والنبات والطير والحيوان ، كان كل أولئك في حيوية مخصبة لا يعتريها ضعف ولا خمود ؟ وكان ترى الجنة ينبت الأفانين من الألوان في كل يوم : وكان هواؤها يتجدد في كل لحظة بأسلوب يدل على أن الهواء مخلوقٌ له روح ،

وكانت أسماك الكوثر تجتمع وتفترق بأريحية ودلال . . . كان كل ما في الجنة على جانب من الذاتية ، ولو كان من صغار الدوابّ والحشرات ، أو ضعاف الذباب والبعوض ، ولجميع الخلائق في الجنة مكان .

ازدهرت الجنة في أغلب مناحيها وأثمرتْ ، وخُصَّ بالعُقم آدم وحواء ، فما هي الأسباب ؟

لم يفكر شيث بن عربانوس في تعليل هذه الظاهرة الغريبة . ونحاول تعليلها فنقول :

كان سبب ذلك العُقم فيما نفترض أن حياة آدم وحوّاء في الجنة كانت حياة دعة وهدوء واطمئنان وأمان ، وهذا اللون من الحياة يخمد الحيوية الجنسية والمنوية ، ويحوّل الرجل والمرأة إلى حيوانَيْن جامدَيْن لا يفكران في التسلح لدفع عوادي الوجود

والذي يقرأ ما أُثِر من الآداب الفطرية يلاحظ أن النسل لم يكن يُبتغَى للزينة ، وإنما يبتغى للدفاع والحِفاظ ؛ ومن هنا كانت قلة النسل من خصائص الأمم التي يقل خوفها من العدوان أو تقل رغبتها في السيطرة والاستعلاء ؛ ومن هنا أيضاً كان الناس يفضلون البنين على البنات ، لأنهم لا يبتغون من الذرية غير القدرة على مكافحة الباغين والعادين من الخصوم والنظراء .

ولم يكن لآدم في الجنة نصيبٌ من الخوف ، فقد كان ينام حيث يريد بكل اطمئنان ، وكان يتفق له أن يجعل صدر الأسد الرابض وساده الرفيق ، وقد طاب له مرة أن يطوّق « حوّاء » بعِقد مؤلف من أفراخ الثعابين .

ومع هذا لم يكن « آدم » يدرك ما في هذه المظاهر من غرابة وشذوذ ، فما كان سمع ولا عرف أن في الوجود أشياء فيها إيذاء .

وأقول : إن ذلك الأمان الموصول هو الذي أخمد عواطف « آدم » وأغناه عن التسلح بالنسل ، وحبّب إليه طعم القرار والهدوء والخمود . وكذلك صنع الأمان « بحوّاء » ، فغفتْ عواطفها الجنسية ، واستنامت إلى العُقم ، وهو مرض لم تلتفت إليه إلا حين رأت إحدى الظبيات تباغم رشأها الوليد في بعض غياض الفردوس .

ويؤيد هذه النظرية أن « آدم » لم ينجب إلا حين هبط الأرض ، فقد شعر بالخوف ، وأدرك أنْ لا بد له من أنصار وأعوان من الأبناء .

ومعنى ذلك أن الذرية ضربٌ من الفاعلية الحيوانية ، وهى تصدُر عن الرجل كما يصدُر السم عن ناب الثعبان .

وفى هذا المقام نشرح ظاهرةً لم تُشرَح من قبل ، وهى ما يلاَحظ من قلة النسل عند العبقريين ، فما التعليل الصحيح ؟

يرجع السر إلى أن السلاح الماضى فى يد الرجل العبقرى هو مواهبه الذاتية ، فهو يحارب بالفكر قبل أن يحارب بالنسل ، وهواه لا يقف عند إخضاع الخصوم من الأهل والجيران ، وإنما يمتد إلى إخضاع الألوف والملايين من سكان الشرق والغرب والشمال والجنوب .

والنسل الحِسّىّ عند الجاهل سلاحٌ موقوت يخلقه الخوف ؛ أما النسل المعنوى عند العالم ، فهو سلاحٌ موصول تخلقه الرغبة فى السيطرة الدائمة على الأفكار والعقول .

ولهذا السبب كانت ذخائر الأمم من الذرية لا تصل عن طريق العبقريين ، لأن هؤلاء لا يشعرون بالانفعال الحيوانى شعوراً يكفي لأن تصدر عنهم الأنسال الكثيرة ، وإنما يتجه انفعالهم إلى جانبٍ آخر هو الرغبة العاتية فى غزو العالم عن طريق الفكر والبيان .

وهل فطن أحدٌ إلى المعنى المطوىّ فى قول كُثيِّر :

بُغاثُ الطير أكثرها فراخاً وأمّ الصقر مِقلاتٌ نَزُورُ

فما معنى ذلك ؟ معناه أن أم الصقر لا تحتاج إلي حماية ، فهى لا تُكثِر من الذرية . ومعناه أن ضعف البغاث يوحى إليها بالإكثار من الأفراخ لتقاوم خصومها بالقوة العددية فى حدود ما تطيق .

والمشاهَد أن المرأة الدميمة هى فى الأغلب ولود ، كما أن المرأة الجميلة هى فى الأغلب عقيم ، وكان ذلك لأن الدمامة تحتاج إلي حماية من الذرية ؛ أما الجمال فهو فى ذاته قوة وسلطان

وللملائكة فى أذهان الناس صور مجردة من النسل ، لأن الملائكة مؤيدون بقوة ربانية تغنيهم عن الاعتزاز بالأبناء

والله عز شأنه « لم يلد ولم يولد » لأنه منزه عن الضعف تنزيهاً خالياً من الشوائب ، وهذا لا يمنع من أبوّته الروحية لجميع ما فى الوجود ، إن صح التعبير بالأبوّة فى الدلالة علي رفق الخالق بالمخلوق

وصفوة القول أن عقم آدم فى الجنة له أصل ، فقد كان أكرم من فى الجنة ، وكان المنطق يوجب أن يعيش بلا أسندة من الذرية بفضل غناه عن الكفاح والنضال

ولكن ... ولكن الأقدار أرادت غير ما يريد ، فنقلته من الجنة إلى الأرض ، ليشعر بالخوف ، وليحتاج إلى معاصم من الأبناء ، وليذوق طعوماً من الأفراح والأحزان لم تكن تخطر له فى بال

والواقع أن الله كان أراد بآدم أشياء ، حين خلق له حوّاء ، فقد شغلته عن التكبير والتسبيح والتهليل ، وزيّنت له الثورة على ما فى الجنة من أنظمة وقوانين

وشيث يحدثنا أن آدم كان صدرُه ضاق بالجنة بسبب ما لها من أسوار وجُدران تجعل من المستحيل أن يسلم من تعقّب حواء ، وتفرض عليه التفكير فى طلب النجاة ولو بالارتماء فى أحضان الأرض ، مع أن بين الجنة والأرض فراغاً لا يَعبُره الهابط إلا فى أعوام أطول من أعمار الأشجان . وسترى فيما بعد أنه لم يفق عند هبوط الأرض إلا بعد أزمان وأزمان

هل كان آدم سعيداً فى الجنة ؟

الظاهر أنه كان من السعداء ، ولكن شيث بن عربانوس يحدثنا أنه طفح الدم فى الجنة بسبب صحبة حواء . فكيف وقع ذلك البلاء ؟!

وقع من عدم التكافؤ الروحى بين الرجل والمرأة ، فهما مخلوقان مختلفان إلى أبعد حدود الاختلاف . وزاد فى النفرة أن آدم كان يميل إلى طاعة الله ، وأن حوّاء كانت تشتهى الخروج على طاعة الله . وتعليل ذلك سهل : فأسرع الناس إلى المخالفة عن أمر الحق هم الضعفاء

صبرَ آدم ما صبرَ إلى أن وقع « حديث السّدرة » ، وهو حديث سجله شيث بن عربانوس بأمانة ونزاهة وإخلاص . فما ذلك الحديث ؟ !

زكى مبارك

حكم فى قضية الجنحة المستأنفة رقم ١٧٥٢٦ سنة ٩٤٠ بتاريخ ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٠ ضد محمد أمين السيد ومحل سكنه جزار درب الجماميز بتغريمه ٢ جنيه لبيعه لحما بسعر أزيد من التسعيرة

حكم فى قضية الجنحة المستأنفة رقم ٦٨١٥ سنة ١٩٤٠ بتاريخ ٤ يونيه سنة ١٩٤٠ ضد مصطفى نصر مصطفى ومحل سكنه شارع محرم حسن بتغريمه ١ جنيه لبيعه ملحاً بسعر أزيد من التسعيرة

حكمت محكمة المنصورة العسكرية فى القضية رقم ٢١٤ سنة ١٩٤٢ بحبس صادق محمد ابراهيم من كفر العزاوى شهرين بالشغل لبيعه قمحاً بسعر أزيد من التسعيرة بجلسة ١٢/١٧ سنة ٩٤١ رقم ٥٧٤١

حكمت محكمة بنها العسكرية فى القضية ن ٣١ شبين القناطر سنة ٩٤٢ بجلسة ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤١ بحبس يوسف مرسى هانى خمسة عشر يوما مع الشغل والنفاذ والاعلان بصحيفة الرسالة واللصق أمام منزل العمدة على نفقة المتهم لبيعه بأزيد من التسعيرة

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

في الفلسفة الإسلامية

٢ - إخوان الصفاء

للأستاذ عمر الدسوقي

هل هم شيعة باطنية ؟

لقد أقر إخوان الصفاء على أنفسهم بالتشيع فى غير ما موضع من الرسائل . فمن ذلك قولهم عن السبب الذى حداهم لكتابة هذه الرسائل : « لكيما إذا نظر فيها إخواننا وسمع قراءتها أهل شيعتنا وفهموا بعض معانيها ، وعرفوا حقيقة ما هم مقرون به من تفضيل أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم خزان علم الله ووارثو علم النبوات ، وتبين لهم تصديق ما يعتقدون فيهم من العلم والمعرفة والفهم والتميز والبصيرة فى الآفاق »[١]

ومنها : « واعلم يا أخى بأن لكل نفس من المؤمنين أبوين فى عالم الروح كما أن لأجسادهم أبوين فى عالم الأجساد ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه : أنا وأنت يا على أبوا هذه الأمة . وهذه الأبوة روحانية لا جسمانية »[٢]

هذا وقد عقدوا فصلاً خاصاً بينوا فيه الطوائف التى تنتمى إلى الشيعة ، وقد انتقدوا بعضها واسترضوا بعضها ، وأخذوا يتبرأون ممن يدعى التشيع وهو يرتكب المنكرات ويقترف الموبقات ، ويحملون على من يقول بأن المهدى المنتظر مستتر من خوف المخالفين ، كما أنهم حملوا على من يبكى الأموات من أهل البيت حملة شعواء ، وهاك ما يقولون : « إن قوماً من أشرار الناس جعلوا التشيع ستراً لهم عما يحذرون من الآمرين عليهم بالمعروف . . . وإذا نُهوا عن منكر فعلوه بارزوا بإظهار التشيع واستعاذوا بالعلوية على من ينكر عليهم أو ينهاهم . لبئس ما كانوا يعملون . ومن الناس طائفة ينسبون إلينا بأجسادهم وهم براء بنفوسهم منا ويسمون أنفسهم بالعلوية وما هم من العلويين ، ولكنهم من أسفل السافلين ، لا يعرفون من أمرنا إلا نسبة الأجساد . . . فهم أبعد الناس عن أهل ملتنا ، وأعدى الناس لشيعتنا ، وأغفل الناس عن حقيقة أمرنا وأسرار حكمتنا . . . ومن الناس طائفة قد جعلت التشيع مكسباً لهم مثل النائحة والقصاص لا يعرفون من التشيع إلا التبرى والشتم والطعن واللعن والبكاء وترك طلب العلم وتعلم القرآن ، وجعلوا شعارهم لزوم المشاهد وزيارة القبور كالنساء الثواكل ، يبكون على فقد أجسامنا[١] وهم بالبكاء على أنفسهم أولى . ومن الشيعة من يقول : إن الأئمة يسمعون النداء ويجيبون الدعاء ، ولا يدرون حقيقة ما يقرون به وصحة ما يعتقدون . ومنهم من يقول : إن الإمام المنتظر مختف من خوف المخالفين . كلا ! بل هو ظاهر بين ظهرانيهم يعرفهم وهم له منكرون كما قيل :

يعرفه الباحث من جنسه وسائر الناس له منكر[٢]

نرى مما تقدم أنهم لا ينكرون التشيع ولكنهم يريدونه على شكل خاص ، وأنهم يبرأون من هؤلاء الذين لوثوا اسمهم وارتكبوا المنكرات والموبقات وادعوا أنهم علويون . فهم بذلك فرقة من الشيعة ترمى إلى تعاليم خاصة ، وغايتها إصلاح الطائفة وتهذيبها بالتعليم . ونرى كذلك أنهم يقولون بالمهدى المنتظر وأنه كان موجوداً إبان تأليف هذه الرسائل ، ولعله أحد من ألفها كما يذهب إلى ذلك بعض المستشرقين . وأنهم كانوا يقولون بأن علياً وصى النبى عليه السلام . وليس فى ذلك أصرح من قولهم فى باب مخاطبة المتشيعين : « ومما يجمعنا وإياك أيها الأخ البار الرحيم محبة نبينا عليه السلام وأهل بيته الطاهرين ، وولاية أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب خير الوصيين صلوات الله عليهم أجمعين[٣] »

أما نسبتهم إلى الاسماعيلية الباطنية فلم تثبت بصفة جازمة ، بيد أن من يدرس آراء هذه الطائفة وآراء إخوان الصفا يجد تشابهاً عجيباً ، وإن كان الأولون أكثر صراحة من الآخرين . على أن الأستاذ كازانوفا يقول : « لقد وجدت مخطوطة فى المكتبة الأهلية بباريس مفقودة الصفحات الأولى والعنوان ، وتقرأ على الصفحة السادسة منها ما يلى : فصل من رسائل إخوان الصفا ، وفى ابتدائها : القول على السر المخزون والعلم المصون من باطن الرسالة الجامعة من رسائل إخوان الصفا . ووردت فيها الجملة

(١) رسائل ج ٤ ص ٢٣٤
(٢) ج ١ ص ١٠٧

(١) هذا يؤيد من يقول إن الرسائل أملاها بعض الأئمة من آل البيت
(٢) الرسائل ج ٤ ص ١٩٩
(٣) الرسائل ج ٣ ص ٢٤٢

المشهورة : إعلم يا أخى أيدنا الله وإياك بروح منه التى يتكرر ذكرها فى كل صفحة من الرسائل » . وقد وجد كازانوفا أن هذه الرسالة الجامعة مصطبغة بالصبغة الإسماعيلية ، متلبسة بشمول الألوهيــة ، ونظرية الفيثاغوريين فى الأعداد . ويقول فى ذلك : « ما أرانى إلا مصيباً فى القول بأن فلسفة الإسماعيلية جميعها مبثوثة فى رسائل إخوان الصفا ؛ فالقول بالإمام المنتظر الذى سوف يظهر ليعيد السلام إلى العالم يمثل امتزاج نظريات الأفلاطونية الحديثة بالاعتقاد بعودة المسيح[(١)] »

وقد جاء فى أحد أعداد جريدة آسيا[(٢)] فصل هــذا عنوانه : « بحث جديد على الإسماعيلية أو الباطنية بالشام المعروفين بالحشاشين » . وقد قال كاتبه ما يأتى : « إن سنان بن سليمان الملقب برشيد الدين هو من أجل وأفخم رؤساء الإسماعيلية ، وقد خدم فى ألموت القدمين الذين كانوا قبله ، وزاول علوم الفلسفة وأطال نظره فى كتب الجدل والخلاف ، وأكب على مطالعة رسائل إخوان الصفا »

ويقول المحبى فى خلاصة الأثر : « وحاصل تلك الرسائل ليس إلا مذهب الباطنية الإسماعيلية ، وهم أنحاء شتى ، ومعظم القول فى هذه الشيعة ، من شيعتهم تناسخ الأرواح ، وادعاء حلول البارى تعالى فى الأنبياء المشهورين من آدم إلى محمد عليهم السلام وفى أئمة آل البيت — وآخرهم المهدى — ويعظمونه على الجميع . والاسماعيلية يوافقون الإمامية فى ذلك[(٣)] »

وقد ثبت تاريخياً أن المغول عند فتحهم لقلعة (ألموت) مركز رؤساء الاسماعيلية عثروا على كثير من نسخ رسائل إخوان الصفا[(٤)]. وقد جاء فى رسالة الإنسان والحيوان المطبوعة فى مصر خطأ تحت عنوان الجامعة : « نحن لبسنا السواد وطلبنا بثأر الحسين بن على عليهما السلام وطردنا البغاة بنى مروان ... ونحن نرجو أن يظهر من بلادنا الإمام المنتظر[(١)] »

وقد تضافر الكتاب قديماً وحديثاً على نسبة هذه الجماعة إلى الاسماعيلية الباطنية ، ومنهم ابن تيميــة وابن حجر والألوسى وغيرهم ، وقد دعاهم إلى ذلك أن نشاط الإخوان فى بث تعاليمهم يشبه نشاط الاسماعيلية وجدهم فى نشر مذهبهم وتشكلهم بما يلائم مصلحتهم ، ولبسهم لكل حال لبوسها ، ومخاطبتهم الناس على حب أهوائهم وأمزجتهم ، واستعمالهم السحر والطلاسم والرقى والتعاويذ فى إقناع الناس بقدرتهم ومبلغ علمهم[(٢)]. ثم فى تكتمهم وشدة حرصهم على ألا يطلع على مذهبهم إلا من دخل فى شيعتهم وقولهم بالتقية والإمام المنتظر ووصاية على رضى الله عنه ... الخ

تسامحهم الدينى

ومما يقوى صلتهم بالاسماعيلية رحابة صدرهم لجميع المذاهب والديانات والعلوم ، فقد ثبت أن الاسماعيلية فى أوائل دخولهم بلاد الهند[(٣)] كانوا يوافقون البوذيين على عقائدهم حتى يستميلوهم إليهم ، ثم يكملون النقص فى هــذه العقائد بنظرية الاسماعيلية الأساسية ، وهى قداسة على رضى الله عنه وعودته ، ثم يجعلون برها محمداً ، ووصنو علياً ، وآدم سيفا[(٤)]

أما إخوان الصفا ، فكانوا أمام جميع المذاهب والديانات غير متعصبين : « وبالجملة ينبغى لإخواننا — أيدهم الله تعالى —

---

(١) رسالة الطيباوى ص ٧١ — ٧٢
(٢) مقدمة زكى باشا لرسائل إخوان الصفا طبعة مصر وعدد جريدة آسيا هو عدد يناير سنة ١٨٥٥ المحفوظ بدار الكتب المصرية
(٣) خلاصة الأثر جـ٤ ص ٦ و ٧ الطيباوى ص ٧٢
(٤) أحمد أمين فى مبادئ الفلسفة

(١) الرسالة الجامعة ص ٨٣
(٢) راجع ما كتبه السير توماس أرنولد فى كتابه الدعاية الاسلامية لتعرف مدى نجاح الاسماعيلية فى نشر تعليمهم ، وإدخال الهنود والبوذيين فى ملتهم واستعمالهم شتى الوسائل والحيل حتى وتقيد أسمائهم ، ووازن بين هذا وبين ما جاء فى الرسائل من الخطب الخاصة لكل صنف من الناس ، ومن استعمالهم السحر والطلاسم والنجوم فى إقناع خصومهم
(٣) أول من دخل الهند من الاسماعيلية هو عبد الله اليمنى الاسماعيلى جاءها حوالى ١٠٦٧م وتبعه نور الدين الذى تسمى باسم نور ستاجر ، وقد قدم من ألموت إلى جوجرات فى حكم الملك الهندى سدهاراج (١٠٩٤ — ١١٤٣م)
(٤) كتاب الدعاية الاسلامية للسير توماس أرنولد وترجمة الكاتب فى فصل عن انتشار الاسلام بالهند

ألا يعادوا علماً من العلوم ، أو يهجروا كتاباً من الكتب ، وألا يتعصبوا على مذهب من المذاهب ؛ لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم كلها[1] »

ويقولون : « واعلم بأن غرض الأنبياء — عليهم السلام — وواضعي النواميس الآلهية أجمع غرض واحد وقصد واحد وإن اختلفت شرائعهم وأزمان عباداتهم وأماكن بيوتهم وصلواتهم ، كما أن غرض الأطباء كلهم غرض واحد في حفظ الصحة الموجودة واسترجاع الصحة المفقودة وإن اختلفت علاجاتهم باختلاف الأمراض العارضة للأبدان[2] » . فالتوراة والإنجيل والقرآن وغيرها من الكتب الدينية ، السماوية وغير السماوية ، عندهم سواء . وكأني بهم يحاولون أن يستوعبوا الديانات كلها في دين واحد ومذهب واحد . وليس هناك أوضح من قولهم : « فالله أرسل روحه إلى كل الناس ، لا فرق بين النصراني والمسلم وبين الأسود والأبيض »

وقد ثبت أن جمعية بغداد التي هي فرع من جمعية إخوان الصفا ، والتي كان يختلف إليها أبو العلاء المعري كما مر بنا ، كانت تجمع السني والشيعي واليهودي والنصراني والصابئي والدهري

وقد حدثنا أبو حيان التوحيدي في المقايسات قائلاً : « إن من أعضائها يحيى بن عدي وأبو إسحق الصابي وأبو إسحق النصيبي وماني المجوسي ... الخ » . وهذا دليل واضح على رحابة صدرهم وعظم دعايتهم وتعدد طرق تبشيرهم[3]

« يتبع »

محمد الدسوقي
مدير كلية المقاصد الاسلامية ببيروت

---

(١) الرسائل ج ٤ ص ١٠٥

(٢) ج ٢ ص ١٢٠

(٣) رسالة الطيباوي ص ٦٥

حكم في القضية ن ٥٢٩ عسكرية طنطا سنة ٩٤٢ ضد محمود على الجنايني بالحبس شهر شغل والنشر بتاريخ ٢٤ ديسمبر سنة ٩٤١ وذلك لبيعه خبزاً بسعر أكثر من المحدد .

إذا . . .

قصيدة من الشعر الانجليزي

إذا احتفظت بصوابك بينا يفقد كل من حولك صوابهم فيتهمونك بما لم تجرم يداك ؛

إذا وثقت بنفسك بينا يتردد الرجال في أمرك وحسبت مع ذلك لترددهم حسابه ؛

إذا صبرت وانتظرت ولم يضجرك الصبر والانتظار ، أو تقوّلوا عليك ولم تُنشِرك أقاويلهم بأقاويل مثلها تبتدعها ؛

إذا كرهوك وملكت نفسك فأمسكت عن كراهتهم ، ومع هذا لم تدغل في الظهور بالطيبة أو الثرثرة بالحكمة ؛

إذا استطعت أن تحلم ولم تجعل أحلامك سلطانك ، وأن تفكر ولم تجعل التفكير كل غايتك ، بل تمت تسمى لتحقيق ما انتهيت إليه من رأيك ؛

إذا جاءك النصر أو نزلت بك المصيبة ، فسويت لهذين الضيفين الختالين المخادعين من نفسك ، وعدلت بينهما في النصيب من لقائك ومعالجتك ؛

إذا استطعت أن تسمع الحق الذي قلت يُحرّف كلمه أدنياء ، ويلوّى معانيه سفلة خبثاء ، يحفرون به الحفر للوقيعة بُله أغبياء ، أو أطقت أن تقف تنظر إلى أشيائك التي أنفقت ساعات حياتك في صنعها تُكسر وتُحطم ، ثم تمت تبنيها بأداة مَبْرُوَّة بالية ؛

إذا استطعت أن تكوّم كل مكاسبك كومة واحدة وتقامر بها فتفقدها كلها مرة واحدة ، ثم عدت تبدأ من حيث بدأت أولاً ، ولم تخرج أنفاسك بكلمة تنبس بها عن خسائرك ؛

إذا قدرت وقد أدبر عنك كل شيء أن تهيب بقلبك وأعصابك وأوتار عضلاتك لتُرْجِعَ لك الدبر وقد فات وتولى بعيداً فتثابر جميعاً حين لا شيء فيك يهتف لها بالمثابرة إلا إرادتك ؛

إذا استطعت أن تخاطب عامة الناس ودهماءهم وتحفظ على نفسك فضيلتها ، أو تسير مع الملوك جنباً إلى جنب ولا تضيع مع ذلك مسحةً تميز عامة الناس ودهماءهم ؛

إذا عجز الأعداء الألداء والأحباب الأقربون عن أن ينالوك بأذى ؛

إذا اعتمد عليك كل الناس ولم يغلوا في ذلك ؛

إذا قضيت الدقيقة القاسية التي لا ترحم من دقائقك بجرية تجريها تدوم ستين ثانية ؛

إذا كان ذلك فلك الأرض وما عليها ، وأفضل من هذا أنك تكون رجلاً يا بنيّ

« ز . ك »

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

الأحـــلام

للعالم النفسانى « ألفرد أدلر »

بقلم الدكتور محمد حسنى ولاية

يقول فرويد : إن الحلم يمثل رغبات جنسية طفلية لم تستوف بعد.. وإن الحالم يشبع رغباته المحرمة فى محيط أوهامه على الرغم من التقييدات التى فرضتها المدنية عليه .

إنى أرى أن هذا الرأى لا يقوم على أساس ، وأن تفسير الأمراض النفسية ومظاهر المدنية على أساس جنسى لا أقره عليه

يقصد الحالم بحلمه تأكيد أهمية الذات ورفعتها . والحلم كالأخلاق والانفعالات والأعراض النفسية قد جهزه الحالم لغرض صمم من قبل .

يكافح الحالم فى حلمه لتبرير شخصيته إزاء صعوبات حيوية قائمة . وليحل مشكلاً من مشاكل الحياة يلجأ إلى تصويره تصويراً طفلياً بسيطاً كأن يكنى عن المشكل بالامتحان، وعن فكرة الانتصار بالطيران إلى السماء ، وعن الخطر بهوة سحيقة .

زارتنى سيدة فى الثامنة والثلاثين شاكية من نوبات متكررة من القلق وخفقان القلب وألم فى الثدى والمعدة ، وقصت علىّ الحلم الآتى :

« رأيتنى أهرب من فهدين فصعدت إلى أعلى صدر رجل ثم استيقظت وقد استبد بى الخوف »

تمخض تحليل الحلم عن سلسلة من الأفكار ترمي إلى تفادى إنجاب طفل آخر . وليس الصعود إلى أعلى صدر الرجل إلا رمزاً للجنوح إلى الذكورة . وكان الخوف والقلق عرضها النفسى الرئيسى الذى يرمى إلى الهرب من وظيفة الأمومة . وقد صورت فى الحلم والديها بفهدين كناية عن خطر داهم يهددها فصعدت إلى أعلى لتنجو منهما لأنهما كانا يعارضان فى زواجها

ظهرت الأعراض النفسية الأولى عندما كانت فى التاسعة عشرة بعد أن خطبت سراً إلى زوجها الحالى . وقد استغرقت خطبتها ثمانى سنوات رغم معارضة العائلة ؛ وتتفق هذا عن حدوث نوبات ثورية إلى أن تم الزواج، ولكنها عادت مباشرة بعد ولادة ابنتها الوحيدة البالغة من العمر عشر سنوات

وقد أماط التحليل النفسى اللثام عن تكوينها الهستيرى عن تلون صفاتها بلون الذكورة إذ كانت كثيرة التحدى محبة للتسلط متكبرة

ابتدعت لنفسها خطة تؤمن حياتها بعد أن تعرفت الى زوجها باستغلال القلق المستحوذ عليها . وعملت على ترتيب هذه الخطة على نمط هلوسى فى سريرتها دون أن تعى . وأضافت اليها آلاماً فى الثدى والمعدة لتجعل كل العلاقات الجنسية غير القانونية مستحيلة ...

وكانت تعنى بالتشنجات الليلية التى أقضّت رقاد زوجها أنه من القلق جداً أن يصحو زوجها على أثر صياح طفل . ولم تكن نوبات ضيق التنفس التى كانت تعتريها الا تحذيراً لزوجها من احتمال اصابتها بالسل الذى قد ينجم عن الحمل

والآن ننتقل إلى حلم آخر للشاعر « ميتور سيمونيدس » رآه قبل الإبحار فى رحلة الى آسيا :

« حذره شخص من الإبحار في رحلة مقررة » ؛ وكان هذا الشخص ميتاً ، وقد سبق أن تولى هذا الشاعر أمر دفنه ، فعدل حينئذ عن الرحيل

ونحن نفترض أن سيمونيدس كان خائفاً من هذه الرحلة فاستغل الشخص الميت ليخيفه منها ومن نهاية مريرة قد تؤدى الى القبر لأن الذى حذره منها ميت

رغب الحالم على وجه العموم — كما يتضح من هذا الحلم — أن يضع نفسه فى مركز خاص يصل اليه من أحسن الطرق التى تتلاءم مع شخصيته وطبيعته وأخلاقه .

(للبحث صلة) محمد حسنى ولاية

وزارة الدفاع الوطنى

تقبل عطاءات لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم ٢٣ / ٣ / ١٩٤٢ عن توريد الدريس اللازم للجيش والمصالح الأميرية الأخرى والشروط بقسم المشتريات والعقود

٩٠٤٩

صفحة من كتاب

حنـــين

للأستاذ شكري فيصل

سكن الكون ، فما في الكون إلا همسات . . . من حديث النجم أو بث المحبين الشكاة . . . ينفثون الآهة الحرى ، ويلقون السهاد … وينادون محبيهم فهل يدرى محبوهم نداء ؟ … ويثور الدمع في أجفانهم فيضاً غزيراً . . . أترى يدرك ذلك الذين تطفر الدموع من أجلهم ، وتتمتم الشفاه بالحنين إليهم ، وينبض القلب بذكرهم المستطاب ؟ !

سكن الكون ، فثارت وحدتي تتلوى … وتذكرت العهود الزاهرات النضر . . . وتراءت من أمامي صور الماضي القريب . ويحها من صور ! فتنهدت حزيناً أسفاً ، وتمنيت لهـا منصرفاً ؛ وذرفت الدمع هتاناً إذ وجدت في الدمع خفوت السَّورة ، وبرودة الثورة ، وبعض العزاء

* * *

… وصمت الليل ، كأنما كان يعد على النـاس أنفاسهم المتصاعدة … وقد أووا إلى فرشهم الدافئة ، يجدون فيها الهدوء ، وينعمون فيها بالدفء . . . ويحسون أنهم يرتعون في أحضان الأبوة ، وفي سماحة الأمومة ، وفي جمال القرابة الدانية

ودقت الساعة الثانية عشرة ، وانبعثت ضرباتها على صفحة الأفق الساكنة . . . كأنما كانت اثنتي عشرة قطرة من المـاء تنصب على قطعة من الصفيح اللامع ، فيكون لها بريق متلألئ كهذا الصدى الموغل في جوف الظلام البعيد

وامتد رواق الليل كما يمتد حنين إنسان غريب . . . يدَّثر الماضي ليجد فيه الذكرى ، ويتطلع إلى المستقبل ليفسح فيه فرجة الأمل . . . كذلك كان رواق الليل ، لا يحتجزه حد ولا يقهره سلطان ، ولا يقف من دونه عائق … كما لا يحتجز الحنين سلوى ولا يقهره ضر ، ولا تقف من دونه الدنيا بكل صورها وألوانها إلا هذه النجوم … لقد كانت في منجاة ومأمن … لكأن عالمها الحلو ، وشعاعاتها المتراقصة تكيد لليل وتتحداه . . . وكأنما هي في أنوارها الحنون تبعث في نفوس المحبين الولهى الأضواء الطروب …

سيظل هذا الحنين المتصل يهفو حول الأمل الناعم ، ويغرد في حفافيه الندية . . . وينثر عليه الورود والرياحين كما تنثر دنيا النجوم من عالمها العلوي ذراتها اللامعة في أجنحة الليل السود

* * *

وسكن الكون . . . واستلقى الليل على صدر الدنيا . ونشر عليها أذياله وأردانه … كأنمـا كان يريد أن يكبت فيها الحركة ، ويقتل فيها النشاط ، ويقطع ما بينها وبين السماء … كان كالساعات اليائسة في حياة المحبين … مرهقة ، مرهقة ، ثقيلة الظل شديدة الوطأة ، كأنما تحاول أن ترين فتحول بيننا وبين الرحمة … ولكن الرحمة القريبة لا تدع السبيل إلى اليأس ، والحب القوي لا تفل منه المصاعب ، والسماء الكريمة لا تقطع ما بينها وبين الناس … إنها تشق ثوب الليل الصفيق لتنبت النجوم النيرة على ظهره وفي أطرافه ومن بين يديه . . . كما تنبت الخزامى في الأرض القفر عطرة الطيب ، شذية الروح … وأنها لتزهو في كل جوانبه ، وترقه في كل ثناياه كما ترقم قطرات الماء سطح البحيرة الهادئ بدوائرها المترجرجات

هكذا الحنين … أيتها الكريمة الرءوم … كهذا الليل … تضحك على جوانبه المترعة بالأسى مُنى ، وترق في ساعاته المريرة رؤى … وتنتثر في لياليه الكئيبة أحلام بيضاء كهذه النجوم .

* * *

واستغرق الكون في سكونه . وأحس الليل ما يلقى من عنت . لقد فرض سلطانه فتمزق … ومد رواقه فتخرق … ونشر جناحه البهيم فهاض النور جناحه البهيم … وغص بالحادثات … والنجوم من حواليه ترقص رقصة الظفر ، وتنشد نشيد الحياة ، وتهزأ هزأ المتحدي … وترسم شعاعاتها دعوة كريمة للفجر المستكن .

وارتمى يفكر . . . واستعرض تاريخه الطويل ، وبكى مجده

يوم الزهاوى

للأستاذ يحيى محمد على

إنه ليوم وإن احتوته لجج الزمن العاتية واستقرت به فى أغوار الماضى ، فإن له بين شغاف القلوب الذاكرة للجميل ، وفى أعماق النفوس المطوية على الوفاء ، أثراً لا أحسب النسيان يقوى على طمس معالمه . إذ امتدت فيه يد القدر من بطون الغيب إلى قلب «الزهاوى» فأسكنته ، وإلى لسانه فأسكتته ، وبذلك غيّضت من مناهل الحكمة منهلاً دفّاق الفيض ، وأطفأت من مشاعل العرفان مشعلاً وضّاء السّنا ، وقطعت من قيثارة الشعر وتراً رنّان الصوت ، وتركت فى كل فؤاد حسرات تضطرم ، وفى كل عين عبرات تختنق !

فكان يوماً لا نملك حين ينساب إلينا من مطاوى كل عام إلا أن نقف فيه وقفة الذاكر المحزون لنحلق بأجنحة الذكرى إلى أجواء رفيعة من النبوغ والعبقرية ، وآفاق مترامية من الإبداع والعظمة ، تزيدنا إعجاباً بالزهاوى ، وإجلالاً لقدره ، ويقيناً بأن خسارتنا فيه كانت أعظم مما قدّرناه بكثير

ثم لا تلبث الذكرى أن تفتح لنا من أسفار المجد سفراً أفعم « الزهاوى » صفحاته بمآثره ومفاخره لنستمد منه لضلالنا هدى ولمحنتنا تجربة ، ولنستوحى كلة حتى نفرغها فى مسامع أولئك الذين بخسوا « الزهاوى » حقه ، وأنكروا عليه نضاله المجيد وكفاحه الخالد وما كانوا إلا أنفسهم يظلمون ، وستبقى آثار « الزهاوى » لنهضتنا معيناً ثرًّا لا ينضب سيله الطامى ولا يغور . . .

وحسبنا — ومجال البحث لا يتسع للاطالة والإسهاب — صفحات من هـذا السفر نقلبها بين أيديهم ، لينعموا النظر فيها ، وليحكموا بعقول سالمة من الأهواء ، وضمائر خالصة من الأحقاد ، على أدب « الزهاوى » وجهاده .

يقول الزهاوى : « ... غنّيت لأبناء وطنى أريد إيقاظهم ، فلما فتحوا عيونهم شتمونى ، ثم غنيت ، فأخذوا ينظرون إلىّ شزراً ، ثم غنيت فابتسموا لى ، ثم هتفوا لى وبقى فيهم من يشتم ، وغنيت وسأغنى إلى أن يسكتنى الموت ، وسوف تبقى بعدى كلماتى معربة عن شعورى وما كابدته فى حياتى من شقاء واضطهاد ، فهى دموع ذرفتها براعتى على الطرس ناطقة بآلامى وهى خليقة بأن تذرف من عيون قارئها دمعة هى كل جزائى من نظمها . . . » !

فهو الشاعر الذى عاش لأمته فاستوحاها وأوحى إليها ، والذى ما خفق قلبه إلا بحبها ، وما توجع واضطرب إلا لمصائبها وهوانها ، والذى ما جرى لسانه إلا بذكرها ، وما شدا إلا بآمالها وأمانيها غنّى لها ، وغنى ، ولكنها تجاهلته حيناً واضطهدته أحياناً أخرى واهتزت جزعاً وحزناً حين فقدته

غنى لها حين ألفاها سادرة فى الضلال تتبط فى رهج الونى والعجز ، وتتعثر فى دياجير الخمول والفتور ، ليوقظها من سباتها العميق ويمهد لها سبل الإفلات من ربقة هذه الغفلة ، فهو القائل :

تيقّظت الأقوام من غفلة لها ونحن بحال لم نزل فيه نهجع

والقائل :

أيها الشعب طال نومك فايقظ للمساعى فالليل صار نهارا

وليبعث فيها من الثقة والعزم ما ييسر لها تحطيم أصفاد اليأس ونضو ثياب الذل ومجاراة الأمم التى سبقتها فى مضمار التقدم والرقى فقال :

يا قوم قد وعر الطريق أمامكم فإذا عزمتم تسهل الأوعار

المندثر وساعاته الخاليات ، وذكر كيف اكتسح الأفق المديد ، وغطّى الشمس المشرقة ... ثم جاءت هذه النجوم الصغيرة تعبث به وتهزأ منه ، فلم يملك أن بكى . . . وانثالت دمعاته على كل نبتة وفوق كل غصن . وكان بكاؤه هذا الندى الطرى الذى اندفع يتلقى بسمة الصباح

... وهكذا تتراقص الأمانى من حوالينا ... أيتها الإنسانة الكريمة ... وتنبثق شعاعاتها الناعمة تخط الفجر الذى نرنو اليه ؛ وتتسق ألوانها الزاهية السبع لتنسج بردة الشمس ، ولكنها تمضى فى هدوء واتزان ؛ فلن تمر بنا فى كل مرحلة ، ولن تقف بنا عند كل لون . ولكنها ستفجؤنا هالة بيضاء نيّرة ؛ فهلا وفّرت عليك بعض الجهد ، وحفظت عليك بعض القوة ، وكففت عن ارتقاب المشرق كما أرقب ، والتحديق فيه كما أحدق ؟!

ولكن لا عليك ، لا عليك يا أماه ؛ حدّقى ، وارقبى ، إن نظراتنا كهذه النجوم ترقص رقصة الظفر ، وتنشد نشيد الحياة ، وترسم للقاء القريب دعوة كريمة !

(القاهرة) **شكرى فيصل**

إن التوقف فى زمان حازم   فيه تقدمت الشعوب ، لعار

والقائل :

أمة تكسر الرتاج إذا ما   وجدت دون ما تريد رتاجا

وغنّى حين رأى الجهل يرين على العقول فيكبحها عن الرشاد والسداد ويهوى بها إلى وهدة الزيغ ، ليرفع عن مداركها آصار الأفن ويدرأ عوادى الطيش ويخفف عُرام الأمية فقال :

العلم ثروة أمة ويسار   والجهل حرمان لها وبوار

وقال :

لا يأمن الدلج السارى تورطه   ما لم يوطد له من عقله سندا

وقال :

استنيروا بالعلم فالعلم نور   إنما بالعلوم تنفى الشرور

وليهيب بها للتهافت على ينابيع العلم ونشر التعليم فقال :

أليس الرضى بالعلم أكبر حطة   أليس ذراع العلم أقدر دافع
خذ العلم إن العلم مال لمعدم   ورىٌّ لعطشان وقوت لجائع

وقال :

تشق حياة مالها من مدرب   وتشقى بلاد ليس فيها مدارس

ثم غنى لما وجد الرجعية تحدق بالحقائق فتشوهها وتمسخها ، وتنأى بالعقائد عن هدفها السامى وغايتها المثلى ، فقال حاثاً على التمسك بالحقائق دون الأوهام والتحرر من نير الخرافات والنزوع إلى التجدد ومماشاة روح العصر الذى لم يعد يأتلف وهذه الأوهام

يا قومنا لا نفع فى أحلامكم   خذوا الحقائق وانبذوا الأحلاما
جهل الذين على قديم عولوا   إن الزمان يغير الأحكاما

وقال :

أنضوا القديم وبالجديد توشحوا   حتام تختالون فى الاطمار
وتملصوا من نير كل خرافة   خرقاء تلقى الرين فى الأفكار

وغنى حينما تبين المرأة ترزح تحت أعباء التقاليد البالية وينوء بها الحجاب ، مدافعاً عنها ، ذائداً عن حقوقها السليبة طالباً إنصافها فقال :

غصبوا النساء حقوقهن   فلا تصان ولا تؤدي
وإذا النساء ردين فى   شعب فإن الشعب يردى

وقال :

طالما قد وقفت أدرأ عنهن   الرزايا فيالها وقفات

ثم غنّى ... وغنّى ...

وما كان ليفت فى عضد الزهاوى أو يثنيه عن عزمه طعن أو ثلب وإعنات أو إرهاق ورائده نصرة الحق ؛ وحسبه ذلك مسيغاً لغصة الجحود ، ومخففاً لوطأة النكران ، وإن قوله :

هى الحقيقة أرضاها وإن غضبوا   وأدعها وإن صاحوا وإن جلبوا
أقولها غير هياب وإن حنقوا   وإن أهانوا وإن سبوا وإن ثلبوا

لأقوى دليل وأنصع برهان على تفانيه فى سبيل الحقيقة !

هذا هو الزهاوى وهذه بعض مآثره وألحانه ...

أفليس من حقه على أمته التى حمل نفسه من أجلها على المعاطب وجوزى منها بالصدود والإغفال أن تعنى بإحياء ذكراه براً منها بالأدب واعترافاً بالفضل ووفاء بالعهد ؟ !

أمثل الزهاوى من يمر يوم ذكراه كسائر الأيام ؟ !

لطفك اللهم بالأدب ... فإن ما يلقاه من عقوق الناس لعظيم وأنتم أيها الجاحدون لفضله ... أليس فى كل ما أداه الزهاوى لأمته ما يستدر من مآقيكم دمعة حبسها الغرور ومنعها الحقد ؟

حسبك يا جميل أنك القائل :

كنت للحق كل عمرى وفيًّا   وسأبقى حتى أموت وفيّا

وقد أديت رسالتك على الوجه الأكمل في ذمة الخلود .

(بغداد — مصرف الرافدين)   **يحيى محمد عمر**

أحدث مؤلفات :

الأستاذ محمود تيمور بك

القصصية والمسرحية

ص			ص
٤	المخبأ رقم ١٣	مسرحية	والبريد ١
٣	أبو شوشه . الصعلوك . الموكب	٣ مسرحيات	« ١
٢	عروس النيل	«	« ١
٨	مكتوب على الجبين	مجموعة قصصية	« ٢
٦	فرعون الصغير	«	« ٢
٣	ما تراه العيون	«	« ١

تطلب من مكتبة الجامعة . شارع محمد على بمصر

لكي تعيش ...!!

للأستاذ م دراج

أليس عجيباً أن يتعارض المنطق مع القانون ؟ إن منطق الحياة ليقول : الحياة تبرر نفسها ! ولكن القانون لا يخضع دائماً لمثل هذا القول ! « الحياة تبرر نفسها » منطق عجيب حقاً ينسف دعائم الجريمة والعقاب ، ومع ذلك فالقانون باق ، وسنة الحياة لا تتغير ! أجل ... إن القانون يثور على المجرمين ، ولكنه لا يفهم لماذا أجرموا ؟ يصليهم العذاب في أركان مظلمة يسميها « دور التأديب والإصلاح » ! ولكن هذه الدور تزداد دائماً ، وتتسع ، وتكتظ ، ومع ذلك يصر على أنها ليست للأفساد ، لسبب الانحطاط في طبقة ما من الأمة ، ويتعلل بتدهور أخلاقها ، ثم ينبنى التفسير الصحيح لهذا التدهور ، وكيف تسببت أعراضه وتفاقمت ، لأنه لا يريد أن يقول : إنه الجوع أو الجهل ، أو الحرمان أو الفقر بمعنى أقرب وأوضح ...

هذه هي القصة ، قصة المرأة التي خلقت التاريخ ، وبقيت المحور الذي تدور عليه حوادث العالم حتى اليوم ... رأيتها بالأمس تسير الهوينا إلى جانب الطريق : تتصفح الوجوه صفحة صفحة بعينين لهما منطق مفضوح ! لقد طال سيرها على غير هدى ، حتى كاد التعب يهوى بفرعها إلى الأرض ، فأسندت ظهرها إلى جذع شجرة عتيقة كمن يريد انتظار شيء معلوم ... فوقفت على بعد منها ، لأني لمحت على وجهها سمة التضليل واضحة ، ولم يخف عني أنها تنتظر المجهول ... المجهول الذي يقودها من هذه السوق التي أقامتها مدنية القرن العشرين لتجارة الرق المشروعة ، فما ذا رأيت ؟ رأيت قطعة من جسم الإنسانية ، تتمرغ في الوحل ، والناس يطربون لهذا المنظر البشع ، ويتهافتون على مشاهدته ، فبعضهم من ذوي « الرؤوس البيضاء » كانوا يرمقونها بنظرة التهكم والسخرية ؛ أما البعض الآخر فمن ذوي الشعور اللامعة والحواجب الزججة ، فإنهم يصارعونها النظرات أولاً ثم يفتشون في مظهر الثديين ، ثم يهبطون بأنظارهم حتى قدميها ، وكثيراً ما كان بعضهم يتعمد المرور من ورائها ليطمئن إلى حكمه الأخير ! وهم لا يكفون عن اللف والدوران ، وكأنهم جيوش من النحل تطوف حول زهرة من أزهار الربيع ... إن منظرها على هذا الوضع ليضايقني ويثير في غيرة لا أعرف مصدرها ، لعلها الثورة على الإنسانة الذليلة ، أو لعلها الأنانية التي لا يخلو من بعضها كائن بشرى ... ووجدتني مضطراً إلى الابتعاد ، فقد كان يؤلمني أن أكون أحد المتحفزين للدخول في صفقة كهذه . ولم أكد أبتعد خطوتين ، حتى أعود فألقي عليها نظرة أخيرة ، فأجد سيارة ضخمة لها طنين العظمة والكبرياء تتباطأ رويداً رويداً ، ثم تقف عن الحركة ، ويتحرك بابها ، ولا ينزل منه أحد ... لقد حجبت عني هذه السيارة منظر الفتاة ، فقفزت كذلك خطوتين إلى الأمام حتى وضح لي أنها تحدق في داخلها ، ثم تتقدم بعض الشيء ، وخيل إليّ أنها تسأل عن الثمن ... وأخيراً تقفز إلى جوار السائق وتندفع السيارة بصيدها الحرام ، مخلفة وراءها عثاراً مشيعاً بدخان العظمة والكبرياء ...

ويضيق صدري ، فأمشي مسلوب العاطفة والفكر معاً . أمشي أنا أيضاً على غير هدى ، هنا وهناك لا ألوى على شيء . وفجأة أسمع طنيناً يعيد إلى صوابي ، فأدرك أن حياتي كانت معرضة للخطر ، كنت مهدداً بالفناء من هذه السيارة الماجنة ، فقد وقفت مني على بعد أمتار . وألقت صيدها المذبوح إلى الطريق! وعلى غير وعي مني أتبع خطواتها ، فهي تسير في نفس الاتجاه الذي يصل بي إلى مسكني . ولكني لا آبه بالوقت ، ولا بحاجتي إلى الراحة ، وأتابع السير وراءها حتى تعرج على دكانة تبيع « سمكا مشوياً » ثم إلى بائع الخبز فتبتاع منه حاجتها ... وتواصل السير وأنا أتبعها ... لقد اندفعت اندفاعاً غريباً لأعرف شيئاً عن قصتها . سلكت شوارع مظلمة ، وحارات ، ودروباً ما كنت أتصور أن القاهرة ، هذه المدينة الجليلة الضاحكة ... ذات القصور والفنادق والملاهي والأحياء التي تضارع أرقى العواصم في الغرب ، هذه المدينة التي يسمونها كذباً وتضليلاً عروس الشرق ، تضم هذه المباءات القذرة ، تلك التي لا تجد لها مثيلاً بين زنوج أفريقيا أو بلاد نيام نيام أو أي أرض شئت

وأخيراً أراها تحيي أمها العجوز ، وتنحدر إلى باب مسكنها الثائر في بطن الجبل . فأتذكر المرأة التي أمر بها كل يوم وهي جالسة إلى صندوق القمامة تفتش فيه جاهدة عن شيء يؤكل ، والرجل الذي تسلل إلى فضلات طعام إحدى الفرق المعسكرة ، فأرداه الجندي صريعاً بالرصاص . والفلاح الذي يأكل الحشائش من الأرض كالحيوان . والعامل الذي يقسره الجوع أن يسرق

قطعة من « العجوة » ليبلع بها رغيفه ... كل أولاء كهذه المرأة هم فى العذر والحاجة سواء . لقد فقدوا كل إحساس لأنهم جياع فما يهمهم عرف ولا قانون . وهل فى عداد القوانين التى تنظم حياة المجتمع قانون واحد يجنب الفقير عواقب الشطط ! ! آه ... لقد تذكرت ! هناك السجون ! وهل رأيت فى السجون إلا فقيراً أو محروماً أو مطروداً ؟ هذه السجون بنيت لفريق واحد من الناس ، وليس هذا الفريق من الأغنياء !

وعدت إلى دارى مهموم القلب ، يحتدم بينى وبين نفسى عراك عنيف : إنها ساقطة ... بغى ... عاهرة تفسد فى الأرض . أثور ، وهى تهدئنى : « ألا تدرى أن صفقة كهذه لا غبار عليها ، ما دام الخمر والجوع هما وسيطاها ! إن الخمر والجوع كليهما كأس يشمل شاربها . فكل كأس من الخمر لها رصيد من العرق أو الدموع ! فلم لا ترى مثل هذا يحدث على الشاطئ الغربى من النيل . . . حيث تقوم القصور الشاهقة مطلة على الأكواخ والكهوف . لا محل للأسطورة القديمة التى كانوا يسمونها الفضائل ، والشرف . والكرامة ، والمروءة ! كل هذه أكاذيب قد عفت منذ زمن بعيد . إن الإنسانية تتقدم ، وتتطور ، دائماً ، دائماً ، حتى فى تجارة الرقيق ، ولكنها تجارة منظمة . أجل تجارة منظمة تتفق وأسلوب القرن العشرين ...

لا ياصاحبى ، إنها إنسانة لا بد لها من القوت لتعيش . ومن يدرى ؟ ربما أعيتها الحيل فى البحث عنه ، أذلتها الحاجة . والجواب بغير ثمن ليس من طبيعة هذا العصر ، ولا من تعاليمه . فما الكرامة ، وما الشرف ، وما العرض ، أمام الحاجة الملحة للطعام ؟ وما دمنا قد رضينا أن يحيا كل إنسان لنفسه ، فليس لك أن تلوم المرأة العاطلة ، التى لا عائل لها ولا قانون يحميها ، إذا انغمست فى الظلام تفتش عن شىء أعياها البحث عنه فى النور . إن لغة العطف والرحمة لم تعد من مصطلحات هذا الزمن . فالرجل القادر على أن يمنح العطف والرحمة فى شكل كسرة تمسك الرمق أو ثوب يستر الجسد قد طغت عليه تكاليف المدنية ، فهو يرى أن « جالوناً » من البنزين لسيارته ، أو كاساً من الشراب يذهب بصوابه ، أو حفلة ساهرة ترمز إلى عظمته ، أحق وأولى من معونة لا يطالبه بها القانون ، ولا تعترف بوجوبها الدولة !

صدقنى إذا قلت لك : إن يد المدنية الحديثة قد قلبت صفحة الزمن ، فطوت معها كل أثر للفضائل فى العهد القديم . نحن الآن أمام صفحة جديدة ، تختلف فى تعاليمها ومراميها ، وليس من معانيها شىء اسمه الرحمة !!

إن القوة الآلية التى جعلت الثروة تتركز فى يد عدد قليل من الناس ، وتتزايد بأرقام مخيفة ، هى بعينها التى سلبت الكثرة الهائلة النزر الضئيل الذى بيدها حتى باتت تبحث عن الرغيف فلا تجده . فالزيادة المطردة فى جانب، والنقص المستمر فى جانب ، قد أوجدا ميزاناً عجيباً تعلو فيه كفة إلى السماء ، وتهبط أخرى حتى تلاصق الأرض . وليس القبّ الذى يرفع هذا الميزان هو توراة « موسى » ولا إنجيل « عيسى » ، ولا هو القرآن الذى بلغه « محمد » ، كما أن صنجاته ليست من المروءة أو الكرم أو الزهد ، ولكنها من نوع آخر تبيحه المدنية وتشجعه ، من الغش ، والطمع ، والمكر ، والاستغلال الشنيع الذى لا يصده حتى عرض فتاة مسكينة تتضور جوعاً !

فكيف إذن نطلب من امرأة ضعيفة جائعة محرومة من شريعة الدين وشريعة المدنية ، أن تفهم معنى الكرامة والشرف وقداسة العرض فى هذا المترك الضال ؟ الإنسان ظل للنظام الذى يعيش فيه ، فكيف يستقيم الظل والعود أعوج ؟

كيف ؟ كيف ؟ لم يعجبنى دفاع نفسى عن البغى . رأيت فيه دفاعاً عاطفياً لا يجوز على العقل ، فاختلفنا ، واتفقنا أن نقدم « للرسالة » هذه القضية .

م . د . ع

وزارة الدفاع الوطنى

إعلان

تقبل عطاءات لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم ١٢ مارس سنة ١٩٤٢ عن توريد اللحوم اللازمة للجيش والشروط بقسم المشتريات والعقود ٩٠٦٦

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الامبراطورية اليابانية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

ليس من شك في أن أنظار العالم في هذه الأيام تتجه صوب ميادين القتال المختلفة : في ليبيا وروسيا وفي الشرق الأقصى ، وفي المحيطين الأطلنطي والهادي ، وتتلهف إلى استماع أنبائه عسى أن تنفذ أبصارهم إلى غياهب المستقبل فيعرفوا بعض ما ينتظرهم . وليس من شك في أن أنباء القتال في الشرق الأقصى تستأثر في الوقت الحاضر بالجانب الأكبر من اهتمامهم . لقد بدأ المستر تشرشل حديثه الذي أذاعه في مساء يوم الأحد ١٥ من فبراير سنة ١٩٤٢ بإذاعة نبأ سقوط سنغافورة في يد اليابانيين . قال مخاطباً شعوب الإمبراطورية : « أتحدث إليكم جميعاً في ظل هزيمة عسكرية شديدة بعيدة المدى . لقد سقطت سنغافورة ، واجتيحت شبه جزيرة الملايا كلها » .

ومضى يقول : « لقد تعرضنا جميعاً لهجوم شعب محارب يتجاوز عدده التسعين مليوناً من الأنفس تسلح بأمضى أنواع الأسلحة » ووصف شجاعة اليابانيين في ميدان القتال ، وقوة اليابان الحربية فقال : « وخليق بكل إنسان ألا يقلل من شأن قوة اليابان الحربية وقوتها في الجو أو في البحر أو في ميادين القتال البرية يوم يتنازل رجل رجلاً ، فقد أثبتوا أنهم محاربون بواسل حقاً » ولا شك أن الناس يتوقون إلى معرفة الكثير عن اليابان . وهل تستطيع أن تصمد طويلاً في هذه الحرب أم لا . وها نحن في مقالنا هذا نحاول أن نمدهم بما يتسع له المقال من معلومات .

اليابان إحدى الدول العظمى التي ما تزال تحتفظ بالنظام الملكي ؛ وامبراطورها يلقب بالميكادو وله سلطان عظيم على رعاياه . ويطلق على اليابان لقب امبراطورية مع أنها لم تكن قبل فتوحاتها الحديثة أكبر من فرنسا بل كانت أصغر مساحة من شبه جزيرة اسكندناوة وإن كان عدد سكانها يزيد على التسعين مليوناً . ويمتاز اليابانيون بنشاطهم وذكائهم ؛ ولكن هذه الصفات لا تساعدهم على أن يجعلوا من طبيعة بلادهم الجبلية حدائق غناء أو مزارع خصبة ، ومن ثم اضطر اليابانيون إلى الالتجاء إلى الصناعة « كما حدث في بريطانيا » واستبدال مصنوعاتهم بما يحتاجون إليه من مواد غذائية ومواد خام – ويشتغل معظم سكانها بالزراعة ، ومع هذا يعتقد كثير من الكتاب أنه لولا التجاء اليابانيين إلى البحر المجاور طلباً للسمك لما استطاعوا تموين أنفسهم . ولم يشعر اليابانيون بالضغط الناشئ من ازدحام السكان في بلادهم ؛ ولعلهم لا يشعرون بذلك لأنهم ملاحون يستطيعون أن ينشئوا علاقات تجارية مع العالم الخارجي ويحصلوا على ما يبتغون من مواد خام ومواد غذائية . وقد كانت اليابان تستورد الأرز من الهند الصينية ، والنترات من شيلي ، والأخشاب من استراليا .

تتكون اليابان من أربع جزائر كبيرة : هندو ، وهكايدو ، وكيوشو ، وشيكوكو ، وعدد عديد من الجزائر الصغيرة . وهي كانجلترا بمعزل عن القارة الآسيوية يفصلها عنها بحر اليابان ؛ وقد أتاح لها فرصة جعلتها تنمو وتنهض وتنشئ حضارة خاصة بها ودولة مستقلة لا تخضع لغيرها . يمتد الأرخبيل الياباني من جنوب شبه جزيرة كمتشتكا في عروض لندن إلى فرموزة في العروض الحارة ؛ ومن ثم نجد مناخ أجزائها الشمالية بارداً ؛ ويزيد في برودته هبوب الرياح الشمالية الباردة عليه شتاء ، وهبوب تيار كوريل البارد ، بينما جنوبها حار . على أن معظم أجزائها يقع في مهب الرياح الموسمية الصيفية ويتمتع بكميات كبيرة من المطر ، وسطحها جبلي ولذا كانت أنهارها قصيرة تكثر بها المساقط وهذه قد استخدمت في توليد الكهرباء .

الغلات والنباتات

اليابان فقيرة من حيث مواردها الزراعية ؛ فثلث مساحتها صالح للزراعة . وأهم ما يزرع به الأرز وهو الغذاء الرئيسي للسكان ، والقمح والشعير والفواكه والخضر ، وفي الأجزاء الجنوبية يزرع الشاي وشجر التوت . واليابان من أكبر الدول إنتاجاً للحرير الطبيعي . وفي فرموزة تنمو الغابات التي من أهم أشجارها الكافور . وفي وديانها يزرع الأرز وقصب السكر ويصدر إلى اليابان الأصلية Gapan proper . وتستورد اليابان مقادير كبيرة من المواد الغذائية من بلاد آسيا المجاورة . وتغطي الغابات كثيراً من أرضها وتمدها بالأخشاب اللازمة لصناعاتها

المعادن والصناعة

يوجد باليابان الفحم ؛ ولكن المقدار المستخرج منه لا يزيد على ثمن «$\frac{1}{8}$» الناتج من بريطانيا ؛ ولذا لا تعتبر اليابان من الدول الهامة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٥ ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل السادس — عاداتهم

كثيراً ما يلجأ الأب والأقارب الفقراء إلى التخلص من الطفل الذي ماتت أمه ولم يفطم عند ما لا يستطيعون الحصول على ظئر له. وقد يوضع الطفل أحياناً على باب المسجد ساعة صلاة الجمعة، فيحدث عادة أن تأخذ الشفقة بعض المصلين عند خروجه من المسجد فيحمله إلى منزله حيث ينشأ في أسرته كطفل متبنى لا رقيق. وقد يعتني بعضهم بالطفل حتى يجد له رجلاً أو امرأة تتبناه. وقد حدث من زمن غير بعيد أن عرضت امرأة على سيدة من أسرة يعرفها صديق لي أن تبيعها طفلاً سنه بضعة أيام وجدته على باب مسجد؛ فقبلت السيدة تربية الطفل لوجه الله رجاء أن يحفظ لها طفلها الوحيد جزاء هذا الإحسان. ثم ناولت المرأة التي أحضرت الطفل عشرة قروش ولكنها رفضت الأجر المقدم. وهذا يبين أن الأطفال يصبحون أحياناً مجرد سلع، ويستطيع من يشتريهم أن يجعلهم عبيداً له يتصرف فيهم كما يشاء. وقد أخبرني أحد النخاسين وأكد لي غيره خبره هذا أن الوالدين قد يبيعان الصغيرات أحياناً باعتبارهن جواري مجلوبات من بلاد أخرى؛ وأن كثيراً من أولئك البنات سلمن إليه بإرادتهن ليبيعهن؛ وقد أتى في روعهن أنهن سينعمن بالملابس الفاخرة والترف العظيم، وعُلّمن أن يقلن إنهن أحضرن من بلادهن في سن الثالثة أو الرابعة ولذلك يجهلن لغتهن الأصلية، وإنما يمكنهن التكلم بالعربية فقط.

وكثيراً ما يحدث أيضاً أن الفلاح يضطره الضنك الشديد إلى وضع ابنه — مقابل مبلغ من المال — وضعاً أسوأ بكثير من الرق. وذلك عند ما يطلب مجندون من القرية فإن شيخ البلد يعمد إلى الطريق الأسهل فيجند أولاد من يقتنون وهؤلاء يستطيعون أن يخلصوا أولادهم من الجندية بأن يعرضوا على الفلاحين الفقراء أن يجندوا أولادهم بدل أولادهم مقابل جنيه أو جنيهين لكل ولد. ويفوزون بطلبهم عادة مع أنه حب البنوة سائد عند المصريين بقدر حب الأبناء لوالديهم. ويكره أغلب الوالدين مفارقة أولادهم عند ما يجندون خاصة كما يدل على ذلك الوسائل التي يعمدون إليها لمنع تجنيدهم. وقد لا حظت أبناء

في إنتاجه ولا ينتظر لها مستقبل صناعي عظيم. وتوجد بها كيات من الحديد، ولكن جل اعتمادها في صناعاتها على ما تستورده من حديد أملاكها الأسيوية. وهي من أكبر دول العالم إنتاجاً للنحاس

وقد تقدمت الصناعة باليابان ولكن ما زال عدد المشتغلين بها من السكان قليلاً. وأهم الصناعات صناعة المنسوجات القطنية والحريرية والورق والخزف واللعب وبناء السفن

واليابان من الدول البحرية الكبيرة ولها أسطول عظيم وقد اضطر سكانها لركوب البحر لصيد السمك. ويبلغ عدد الصيادين حوالي المليون

موازنة بين بريطانيا واليابان

يشبه كثير من الكتاب اليابان ببريطانيا ويطلقون عليها The Britanir of the Pacific وهذا التشبيه صحيح من بعض وجوهه؛ ولكن هناك أوجه كثيرة للخلاف: فاليابان أقرب إلى خط الاستواء من بريطانيا؛ فهي تقع في عروض البحر الأبيض. ويختلف مناخها ومناظرها ومحصولاتها عن نظيراتها ببريطانيا. ويختلف الإنجليز عن اليابانيين في مظهرهم وأخلاقهم وطرق حياتهم. وتعتمد بريطانيا على الصناعة بينما اليابان ما زال أكبر اعتمادها على الزراعة. ويشك كثير من الكتاب في مقدرتها على أن تصبح دولة صناعية. فموارد الفحم بها لا يمكن أن تستمر طويلاً برغم ضآلة المستهلك منها. وتنقص صناعاتها الجودة والإتقان، أما انجلترا فمواردها وموارد أمبراطوريتها لا تنفد

ويرى كثير من الكتاب أن اليابان يمكن أن تكون موضعاً حسناً للمقارنة بإيطاليا لا ببريطانيا؛ فتركيبهما الجغرافي وعروضهما، وكثافة السكان بكل منهما، وانتشار الزراعة وقلة الممتلكات تجعل المقارنة بينهما ممكنة، بينما لا يمكن تشبيه اليابان ببريطانيا!

(للبحث بقية) أبو الفتوح عطيفة

زيارتي الثانية لمصر أنك لا تكاد تجد في أي قرية شاباً صحيح الجسم ليس بأسنانه كسر « حتى لا يمكنه أن يقرض الفشكة » أو بأصابعه نقص، أو بعينيه إصابة أو عمى حتى لا يجند. ويتخذ النساء المتقدمات في السن وغيرهن هذا الأمر حرفة منتظمة، فيدرن على القرى لتنفيذ هذه العمليات؛ وقد يقوم أبوا الولد أنفسهما بهذا الأمر. ويبدو مما قيل آنفاً أن العاطفة ليست وحدها دائماً السبب الذي يدفع أهل الطفل إلى الالتجاء إلى مثل هذه الوسائل حتى لا يحرموا أطفالهم.

ولا يمكن تصور فلاحي مصر من حيث حالتهم المنزلية والاجتماعية وشمائلهم صورة ملائمة. ويشبه الفلاحون على أسوأ الاعتبارات أسلافهم البدو دون أن ينعموا بكثير من فضائل أهل الصحراء إلا في درجة منحطة. وكثيراً ما أحدث ما ورثوه عن أجدادهم أسوأ تأثير في حياتهم الداخلية. وقد ذكرنا من قبل أن المصريين انحدروا من عدة قبائل عربية سكنت مصر في عصور مختلفة، وأصهروا إلى الأقباط، وأن التمييز بين القبائل لا يزال قائماً بين سكان القرى في القطر كله. وقد انشعبت بمرور السنين سلالة كل قبيلة من المقيمين إلى عدة فروع؛ وسميت هذه القبائل الصغيرة بأسماء متميزة أطلقت على القرية أو القرى أو المركز الذي يقيمون فيه. ولم يحتفظ الذين أقاموا طويلاً في مصر بالعادات البدوية الكثيرة، ولم يصونوا نقاوة جنسهم، وإنما أصهروا إلى الأقباط الداخلين في دين الإسلام أو سلالتهم؛ ولذلك تحتقرهم القبائل التي أقامت في مصر بعدهم فيسمونهم ازدراء (فلاحين) بينما يجعلون لأنفسهم تسمية العرب أو البدو؛ ويتزوج هؤلاء الآخرون متى شاؤا من بنات الأولين، ولكنهم لا يزوجون بناتهم لهم؛ ويثأرون للدم إذا قتل شخص من قبيلة وضيعة أحدهم بقتل اثنين أو ثلاثة أو أربعة؛ وقد أشير إلى تلك الشريعة البدوية الوحشية الخاصة بثأر الدم وسيادتها بين سكان قرى مصر في فصل لاحق. فيقتل أحد أقارب القتيل من ذريته أو من سلالة الجد الأكبر لأبيه القاتل، أو أحد الأقارب الذكورين من ناحيته؛ ولذلك كثيراً ما ينشب القتال بين قبيلتي القاتل والقتيل، وقد يستمر أو يتجدد كل حين عدة سنين. وكثيراً ما يكون الأمر كذلك نتيجة إهانة يسيرة بين شخصين ينتميان إلى قبيلتين مختلفتين. وكثيراً ما يعود الثأر بعد جيل أو أكثر من ارتكاب القتل، بينما كانت الخصومة في ذلك الوقت هادئة، وربما لم يكن يذكرها أكثر من شخص واحد. وهناك قبيلتان في الوجه البحري إحداهما (سعد) والأخرى (حرام) اشتهرتا بهذه الحروب والخصومات الصغيرة[1]، ولذلك يطلق اسمها عادة على أي شخصين أو فريقين عدوين. ومما يثير الدهشة أن يباح في الأيام الحاضرة مثل هذه الأعمال التي إذا ارتكبت في مدينة من مدن مصر عوقب عليها بالموت أكثر من شخص. وقد أباح القرآن الثأر ولكنه قيد تنفيذه بالعدل والاعتدال. وتخالف هذه الخصومات حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار »، ويشبه الفلاحون البدو في أحوال أخرى؛ فعند ما تخون الفلاحة زوجها يقذف بها هذا أو أخوها في النيل بعد أن يربط في عنقها حجر أو تقطع إرباً ويقذف ببقاياها في النهر. وقد يعاقب الأب أو الأخ العذراء التي تتهم بمنكر. ويعتبر أهل المرأة أن جريمتها تمسهم أكثر مما تمس الزوج، وكثيراً ما يحتقرون إذا لم يعاقبوها

الفصل الثامن

عادات المجتمع العامة

يؤدي احترام المسلم للتجارة إلى اتساع دائرة معرفته بالناس على اختلاف درجاتهم اتساعاً عظيماً؛ وينشط قانون انفصال الجنسين حرية المعاملات بين التجار إلى مدى بعيد، إذ يسمح للتاجر أن يشارك غيره — بصرف النظر عن اختلاف الثروة أو الدرجة — دون خشية اقتران شخصين متفاوتين بالزواج؛ وتتمتع النساء مثل الرجال بسعة المعاملات التجارية مع الغير من جنسهن

ويتكلف المسلمون ويدققون في شمائلهم الاجتماعية إلى أقصى حد؛ ويقوم الكثير من عاداتهم الشائعة على تعاليم الدين، وذلك يميزهم في مجتمعاتهم من كل قوم آخرين. ومن عاداتهم تحية بعضهم

(١) مثل قبيلتي (قيس) و (يمن) في سوريا

بعضاً بقولهم : «السلام عليكم»[١] فيرد من يحيونه بقوله : «عليكم السلام ورحمة الله وبركاته »[٢] . ولا يوجه المسلم هذا السلام إلى من يخالفه في الدين [٣] ولا بالعكس[٤] ؛ ويجب على المسلم أن يحيي المسلم بهذه التحية ، إلا أن إهمال هذا الواجب لا حرج فيه . ويجب رد التحية على الإطلاق ؛ فالتحية (سُنَّة) وردها (فرض) . وقد يحيي المسلم مع ذلك خطأ من يخالفه في الدين ، وليس على هذا أن يرد التحية . وينقض المسلم تحيته عند ما يتبين خطأه بقوله : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ؛ وكذلك يفعل أحياناً إذا حيا مسلماً ورفض أن يرد السلام

وأهم آداب السلام كما أملاها الرسول (ص) وكما يتبعها المصريون المحدثون ما يأتي : يبدأ الراكب بالسلام على الراجل ، والعابر على الجالسين قلوا أو كثروا ، والفئة القليلة أو أحدهم على الفئة الكثيرة ، والصغير على الكبير[٥]، ولما كان يكفى أن يوجه السلام واحد من الجماعة فكذلك يكفى أن يرده واحد . ويجب على المسلم أيضاً أن يحيي أهل المنزل عند دخوله وخروجه ؛ ويجب دائماً أن يبدأ بالتحية ثم يتحدث . وللأداب السابقة بعض الشواذ فلا يلزم مثلاً في المدينة المزدحمة تحية أكثر هؤلاء الذين قد يمر بهم الإنسان ولا في الطريق حيث يقابل المرء عدة عابرين . إلا أن العادة جرت على أن يُحيي الرجل الموسر أو الحسن الهندام أو الشيخ المحترم أو أي شخص وجيه من يبدو أنه رفيع المكانة أو عظيم الثروة أو من رجال العلم ولو كان الطريق حافلاً . وعادة المهذبين أن يضع من يسلم أو من يرد السلام يده اليمنى على صدره أو يلمس شفتيه ثم جبهته أو عمامته ويسمى ذلك (تَيْمِينَه) . وتؤدى التيمينة الأخيرة ، وهى أكثر احتراماً ، لمن علا قدره لا مع السلام فحسب، ولكن أثناء الحديث أيضاً وبدون سلام حينئذ

ولا يؤدى من كان من الطبقة الدنيا السلام إلى المعظم دائماً وعلى الأخص إذا كان تركياً ، وإنما يكتفى بأداء التيمينة . ويظهر احترامه لمن سما مركزه بإحناء اليد إلى أسفل ثم رفعها إلى شفتيه وجبهته دون أن ينطق بالسلام . ومن العادات الشائعة أيضاً أن يقبل الرجل يد المعظم ، ظهرها وحده أو ظهرها وباطنها أحياناً ، ثم يضعها على جبهته لاظهار احترامه الخاص . إلا أن المعظم لا يسمح بذلك في أغلب الأحوال ، وإنما يلمس اليد التي تمد إليه فيضع المحيِّي حينئذ يده على شفتيه وجبهته فقط . وتقبيل القدمان دلالة على الخضوع والذلة لالتماس العفو عن ذنب أو للشفاعة لشخص آخر ، أو لطلب إحسان من عظيم . ويقبل الولد يد أبيه والزوجة يد زوجها والعبد والخادم الحر غالباً يد السيد . ويقبل أرقاء العظيم وخدمه كم ملابسه أو طرفها

وعند ما يُحيي الأصدقاء الخواص بعضهم بعضاً يتصافحون باليمنى ، ثم يقبل كل منهم يده أو يضعها على شفتيه وجبهته أو يرفعها إلى جبهته فقط أو يضعها على صدره دون أن يقبلها . ويتعانقون بعد الغياب الطويل وفي بعض المناسبات الأخرى . فيقبل كل منهم الآخر على الناحيتين اليمنى واليسرى . وهناك طريقة أخرى للتحية شائعة الاستعمال بين الطبقات الدنيا . فعندما يتقابل صديقان بعد سفر يتصافحان ويهنئ كل منهما الآخر على سلامته ويتمنى له الهناءة والرفاهية مردداً عبارتي : « سلامات » و « طيبين » على التعاقب ومراراً . وعند ما يبدآن هذه التحية التي تدوم وقتاً ، وقبل أن يأخذا في الحديث يتصافحان كالعادة المتبعة عندنا ، ويغيران وضع اليد كلما يلفظان العبارتين السابقتين فيدير كل منهما أصبعه على إبهام الآخر عند ما يردد العبارة الثانية ويعود إلى الوضع عند العبارة الأولى

(يتبع) عدلي طاهر نور

إدارة البلديات — مياه

تقبل العطاءات بإدارة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر ٢٢ مارس ١٩٤٢ عن توريد عدادات وأدوات مياه لمجالس قليوب والقناطر الخيرية وشبين القناطر وطوخ . وتطلب الشروط من الإدارة نظير ٢٠٠ مليم

٩٠٧٤

(١) أو « سلام عليكم »

(٢) أو « عليكم السلام » فقط . ولكن العبارة الطويلة تستعمل عادة تبعاً لأمر القرآن (سورة النساء آية ٨٦)

(٣) وقلما يفعل ذلك مسلمو مصر

(٤) ومع ذلك يرد المسلم أحياناً بعبارة « وعليكم » عند ما يحييه غير المسلم هذه التحية

(٥) وقد ذكر هيرودوتس احترام المصريين للمسنين كما أشار إلى تحياتهم المهذبة (الكتاب الثاني ص ٨٠)

أغنية

من ليالي الدانوب

للأستاذ أحمد فتحي مرسي

يا ليالي الحبِّ عاد الحبُّ ذكرى ، يا ليالي
يا مجالي النهرِ أينَ النهرُ منَّا ، يا مجالي
غابَ عن عيني وما غابتْ رُؤاهُ عن خيالي
وسلامٌ يا مِهادَ الحبِّ يا نبعَ الجمالِ
يا ليالي الحبِّ عاد الحبُّ ذكرى ، يا ليالي

* * *

أينَ تحتَ الدَّوحةِ السكرى أماسيُّ اللقاء
حينما أرختْ بنانُ الكونِ أهدابَ المساء
أينَ ضفَّاتُكَ يا نهرُ النديَّاتِ اللواتي
لقيتْنَا بين ألحانٍ وأزهارٍ وماء
حُلُمٌ من غفوةِ الماضي تراءى في جلالِ
يا ليالي الحبِّ ... ...

* * *

حدِّثي يا سرحةَ الوادي ويا خُضْرَ الرحابِ
واذكري يا كأسُ أحلامَ ليالينا العِذابِ
وارْوِ يا نهرُ ترانيمي وأصغي يا رَوابي
أنا من خلَّفتُ في واديكَ أيامَ الشبابِ
وانطوتْ صفحةُ أحلامي على تلكَ الرمالِ
يا ليالي الحبِّ ... ...

* * *

هاهُنا كَمْ صافحَ الزهرُ وندَّى راحتيها
والفَراشاتُ إلى الضوء تَسَامَى وإليها
ترتجي الأمواجُ لو فاضتْ فمسَّتْ قدميها
وتودُّ الكأسُ لو تبقى طويلاً في يديها
والغصونُ الخضرُ ما بينَ سُجودٍ وابتهالِ
يا ليالي الحبِّ ... ...

* * *

سألتني أترى النهرَ جميلاً في سُراهُ
لِمَ يبدو أزرقَ الصفحةِ يَسْبي من رآهُ
قلتُ يا أنشودةَ القلبِ ، ويا حُلْمَ هواهُ
هذه الزُّرقةُ من عَيْنَيْكِ لَصَّتْها المياهُ
وتهادتْ راقصاتٍ بينَ زَهْوٍ واختيالِ
يا ليالي الحبِّ ... ...

* * *

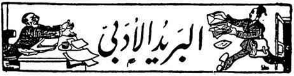
أيها الأزرقُ يا مَسْبحَ أحلامِ الحسانِ
والذي غنَّتْه قيثاري شجيَّاتِ الأغاني
أنا من غنَّت بألحاني أيامَ الزمانِ
وشدا كلُّ لسانٍ بالذي يشدُو لساني
وحيُ أيامِكَ يا نهرُ وأيامي الخوالي
يا ليالي الحبِّ ... ...

* * *

يا ليالي الحبِّ عاد الحبُّ ذكرى يا ليالي
يا مجالي النهرِ أين النهرُ منَّا يا مجالي
غابَ عن عيني وما غابتْ رُؤاهُ عن خيالي
وسلامٌ يا مِهادَ الحبِّ ، يا نبعَ الجمالِ
يا ليالي الحبِّ عاد الحبُّ ذكرى يا ليالي

أحمد فتحي مرسي
المحامي

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com



تواضع الأديب الحق

مما يسترعى الالتفات أحياناً تلك اللغة التي يخاطب بها بعض الأدباء زملاءهم، فتراهم يقولون: « زميلنا أو صديقنا فلان يطلب إلينا كذا، ونحن نقول له كذا، والأجدر به أن يسألنا كذا » إلى آخر هذا الكبر والتكبر في التعبير

هؤلاء قد نسوا من غير شك أو تناسوا أن تكبر الأديب الحق وتعاليه هو في الفكر والتفكير لا في مخاطبة الآخرين. إني أرى شعار الأديب الحق هو: « تواضع في معاملة الناس، وتعالٍ في معالجة الأفكار ». لقد آن الأوان لأذكياء القراء أن يقفوا بالمرصاد لكل أديب يحاول أن يتعاظم بالحط من غيره، وأن يرفع قدر نفسه بوسائل لا تتصل بجوهر الرسالة العليا للفكر والأدب

حدث ذات مرة أن تفضل أحدهم فذكرني بقوله: « صديقنا فلان » ! فتساءلت: « أهو يريد أن يشرفني بصداقته أم يشرف نفسه بتعظيمها على حسابي » ؟ !

يقولون إن الذوق شيء ليس في الكتب؛ ولكني أقول إن الذوق شيء ينبغي أن يكون في طبيعة كل كاتب

توفيق الحكيم

على هامش العدد الممتاز

ظهر هذا العدد حافلاً كما تعود القراء بالآراء المنخولة، والعلم المصفى، والأدب الحي، الذي يبعث الحياة قوية في النفوس التي نال منها الجهد. وقد وقفني، وأنا أطالع بعض ما فيه من بحوث كلمات – هي لفتات قوية – جعلتني أكتب هذه الكلمة القصيرة

١ – يقول الأستاذ الجليل الزيات: « إن عمر رضى الله عنه رأى من العدل أن ينال اليهودي الذي عجز عن كسب حياته، من بيت المال ما يمسك به نفسه ». ذكرني هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد أهل الحيرة في كتابه الذي جاء فيه: « وأيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وعُيِّل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة والإسلام(١) » أين هذا العدل مما نراه اليوم من ضياع حقوق الفقراء المسلمين عند الأغنياء المسلمين ولدى الحكومة في دار الإسلام !

٢ – ويذكر المؤمن حقاً الأستاذ النمراوي في تأملاته أن الفضيلة جُعلت في هذا الزمن الضال بأهله وسيلة للغلَب؛ فالأمم تتعاهد فإن وجدت في الوفاء ربحاً وفت، وإن وجدت الربح في النكث نكثت. هذه الحقيقة المؤلمة أذكرتني كذلك ما جاء في كتاب الفاروق عمر إلى سعد بن أبي وقاص وهو في حربه مع الفرس: « فإن لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان، أو قرفه بإشارة أو بلسان كان لا يدرى الأعجمي ما كلمه به وكان عندهم أماناً، فأجروا ذلك مجرى الأمان. وإياكم والضحك، والوفاء الوفاء ! »(٢)

هل ترى أنبل من هذا وأشرف ! يحض الفاروق على الوفاء بكلمة تبدو من المسلم لأعجمي لا يدرى معناها ولا يدور بخلده أنها أمان، أما الأمم التي ترى أنها أوفت على الغاية من المدنية والحضارة، والتي يأخذ عنها سادتنا وزعماؤنا ورجالاتنا العادات والتقاليد، فتتعاهد ومُحكم العهد، حتى لا تُترك فيه لفظة ينفذ منها شك، أو حرف يكون تعلَّة للبس؛ ثم إذا رأت إحداها أن خيرها في النكث نكثت، إن مكنها من هذا ما تملك من حول وطول، ومن قوى الدمار والهلاك !

يا قومنا ! يجب أن نعتز بتراثنا وآدابنا وأمجادنا التي تصمد في مقام الاعتزاز والفخر. بذلك تحترمنا الأمم الأخرى، ونسير في طريق المجد. والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

إلى الدكتور زكي مبارك

قرأت ما كتبته في العدد (٤٤٨) من مجلة الرسالة الغراء تحت عنوان (أعدى الأعداء) ولست أقول فيه شيئاً، غير أني

(١) مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة للدكتور محمد حميد الله، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤١ ص ٢١٩ – ٢٢٠

(٢) المرجع نفسه ص ٢٢٨

أحيلك على ما كتبه الدكتور طه حسين بك فى العدد (٣٩٩) من مجلة الإثنين ففيه خير جواب لك

ولعل من الخير أن أذكرك بكلمة قالها الجاحظ فى كتابه عن النساء وهى : (لسنا نقول ولا يقول أحد ممن يعقل أن النساء فوق الرجال أو دونهم بطبقة أو طبقتين أو بأ كثر)

وبما لقلمك من فضل على الأدب العربى الحديث لا يسعنى إلا أن أقول : (هداك الله للحق وأبعد كيد الشيطان عنك) .

(بنت بغداد)

حول الهجرة وشخصيات الرسول

أولى المجلات عناية بما ينشر فيها بحثاً ونقداً « مجلة الرسالة الغراء » لأنها أصبحت حقاً مشاعاً للطبقة الراقية من رجال الدين والعلم والأدب ، فلا غرو أن ينتظر القراء منها تحقيق ما ينشر فيها من بحث أو يذاع فيها من رأى . كتب صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت كلة ضافية فى العدد ٤٤٩ ناشد فيها أمنية له حارة أن يعنى العلماء بجمع ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن يميز من ذلك ما كان بصفته رسولاً وما كان بصفته إماماً أو قاضياً أو مفتياً ، بعد أن مهد لذلك بمقدمة نعى فيها على علماء الإسلام حرمانهم النبى صلى الله عليه وسلم من حق الاجتهاد وصورهم كأنهم يرون النبى صلى الله عليه وسلم اسطوانة لجبريل حيث غلبوا صفة الرسالة على صفة البشرية ، إلى أن قال فيهم : ومن زعم ذلك فقد تلاقى فى رأيه من قريب أو بعيد بالذين يقولون « أبعث الله بشراً رسولاً » .. ومعلوم أن قائلى ذلك هم الكفار

وماذا يقول الأستاذ فى أن كتب الأصول من أولها إلى آخرها تقول بصحة اجتهاد الرسول ، وأنه إذا أخطأ فى الاجتهاد نزل الوحى بتصحيح الخطأ ، لأننا مأمورون فى القرآن الكريم بالاقتداء به ولا نقر بحال على الاقتداء به فى خطأ . كذلك نصت جميع كتب الأصول وكتب الشريعة جماء على تقسيم أفعاله صلى الله عليه وسلم إلى ما كان منها جبلياً أو من قبيل العادات فلا يكون شريعة ولا نحن مأمورون بالاقتداء به فيها ، وإلى ما هو بيان لما جاء فى القرآن أو نزل بالوحى فيجب أن يكون تشريعاً عاماً ، وتحدثوا عن ذلك بإفاضة حتى مازوا ما يصدر عنه بصفة كونه إماماً ، وما يصدر منه بصفته مبلغاً أو قاضياً أو مفتياً وهى الشخصيات التى أرادها الأستاذ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من أمر الصحابة بالتفرقة بين ما يصدر عنه بصفته رسولاً وما يصدر عنه بصفته من البشر . جاء فى صحيح مسلم عنه قال : (إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشىء من رأيى فإنما أنا بشر) وقال : (أنتم أعلم بأمور دنياكم) واتخذ العلماء ذلك قاعدة شرعية بنوا عليها تفصيل الكلام فيما يصدر عنه صلى الله عليه وسلم من تصرفاته ، حتى اختلفت الأئمة الأربعة فى كثير من المسائل بناء على هذا الأساس نفسه ، كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : (من قتل قتيلاً فله سلبه) حملها بعض المذاهب على أنه تشريع عام دائم ، ورأى مالك أنه تصرف منه بصفته إماماً . كذلك ورد (من أحيا أرضاً ميتة فهى له) رأى مالك والشافعى أن ذلك من باب التبليغ والرسالة فهو تشريع دائم ، ورأى أبو حنيفة أن ذلك إنما صدر عنه بصفته إماماً . إلى غير ذلك مما هو مذكور فى كتب الخلاف

هذا حديث العلماء فى القديم والحديث فى الفقه واختلافه باختلاف النظر إلى شخصيات الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يصدر عنه من قول أو فعل ، بسطوا القول فى ذلك ووضعوا له الأبواب والقواعد فى كتب الأصول وكتب القواعد وأحكام القرآن والسنة

فأمنية الأستاذ محققة بحمد الله ، وأما الخلاف فى الفروع الجزئية فهو ضرورة اجتماعية فى كل تشريع ، ويمتاز التشريع الإسلامى بأنه فيه مصحوب بحسن التفاهم وعمق النظر إلى اختلاف أحوال الأفراد والطوائف مما لا يوجد فى التشريع الوضعى .

محمد عبد السلام القبانى
المدرس بكلية الشريعة

البراق النبوى وقصة المعراج فى التصوير الإسلامى

نشرت مجلة المقتطف فى عدد فبراير ١٩٤٢ مقالاً للأستاذ « عمر حمدى » خريج معهد الآثار الإسلامية عن : « البراق النبوى » كنا ننتظر أن يذكر الأستاذ فى ذيله أنه ترجمة لفصل من كتاب « التصوير فى الإسلام Painting in Islam » لمؤلفه « السير توماس أرنولد » ، وهذا الفصل فى الكتاب المذكور من صفحة ١١٧ ــ ١٢٢ بعنوان « البراق »

والأجدر بخريج معهد الآثار الإسلامية أن يلجأ فى كتابة مقال إلى الطريقة العلمية الصحيحة من إرجاع الفضل لذويه ، والاعتماد على المراجع ؛ فتلك هى الأمانة العلمية الواجبة ، فنحن الآن فى عصر زخرت فيه المكتبات بالكتب ، وصار فضل كتاب المقالات ، بل فضل المؤلفين أنفسهم هو فضل إسناد

الآراء إلى مصادرها الأصلية . ذلك ما يطلب منهم ، إذا لم يكن أن يكون لهم فى مضمار العلم فضل الابتكار .

ونأمل أن يتفضل المقتطف الأغر بنشر هذا الاستدراك فى عدده القادم .

السيد العجمى

رأى الأئمة فى المذاهب الصوفية

بعد أن اطلعت – أيها القارئ الكريم – على فتوى الإمام « الطرطوشى » بالشين فى المذاهب الصوفية ، يجدر بك أن تسمع رأى أئمة الفقه المجتهدين فى هذه المذاهب الصوفية التى ذر قرنها فى أواخر القرن الثانى للهجرة، وظهر الشذوذ فى المنتحلين لها فى القرن الثالث للهجرة

قال الإمام الشافعى الذى توفى سنة ٢٠٤ هـ : إذا تصوف الرجل فى الصباح لا يأتى المساء إلا وهو مجنون . وأنكر الإمام أحمد الذى توفى سنة ٢٤١ هـ بعده على خيارهم ، ونهى عن قراءة كتب الحارث المحاسبى على التزامه الكتاب والسنة علماً وعملاً . وروى الخطيب بسند صحيح أن الإمام أحمد سمع كلام المحاسبى فقال لبعض أصحابه : ما سمعت فى الحقائق مثل كلام هذا الرجل ، ولا أرى لك صحبتهم . وسئل الإمام أبو زرعة عن الحارث المحاسبى وعن كتبه التى ألفها فى : أصول الديانات ، والزهد على طريق الصوفية ؛ فقال للسائل : إياك وهذه الكتب ، بدع وضلالات . عليك بالأثر ، فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب ؛ فقيل له : فى هذه الكتب عبرة ؛ فقال : من لم يكن له فى كتاب الله عبرة ، فليس له فى هذه عبرة – بلغكم أن مالكاً أو الثورى أو الأوزاعى أو الأئمة صنفوا كتباً فى الخطرات والوساوس وهذه الأشياء ؟ هؤلاء قوم قد خالفوا أهل العلم . ثم قال : ما أسرع الناس إلى البدع !

ومن خيار الصوفية الوعاظ المتقدمين منصور بن عمار ، وقد ذكر بن مفلح فى كتاب « الآداب الشرعية » أن الإمام أحمد نهى عن كلامه . وقد أنكر الغزالى فى كتاب « الغرور من الإحياء » على المتشبهين بالصوفية ، وكان ذلك فى أواخر القرن الخامس ، فإن الغزالى توفى سنة ٥٠٥ ، وكان قد تاب إلى الله من علوم التصوف والكلام وانقطع إلى علم السنة . ثم إن ابن الحاج المالكى المتوفى سنة ٧٣٧ هـ تكلم فى كتابه « المدخل » على هؤلاء المتشبهين بالمشايخ من أهل عصره فى القرن الثامن وبين ما لهم من المنكرات ، وفند ما يدعونه من الكرامات

وبعد ، فهذا نموذج من كلام أئمة الإسلام ندعم به فتوى الإمام الطرطوشى فى المذاهب الصوفية ، وحسبى ذلك وكفى

(كفر الندرة) أحمد أحمد القصير

مات حتف أنفه

فى الطبعة الرابعة لكتاب (إعجاز القرآن) للرافعى رحمه الله ص ٣٣٢ فى الكلام عن البلاغة النبوية وتحت عنوان (تأثيره فى اللغة صلى الله عليه وسلم) يقول المؤلف : (فلا جرم كان صلى الله عليه وسلم على حد الكفاية فى قدرته على الوضع والتشقيق من الألفاظ وانتزاع المذاهب البيانية حتى اقتضب ألفاظاً كثيرة لم تسمع من العرب قبله . . . إلى أن يقول (وكلها قد صار مثلاً وأصبح ميراثاً خالداً فى البيان العربى كقوله : مات حتف أنفه . وقد روى عن على بن أبى طالب (رضى الله عنه) أنه قال : ما سمعت كلمة غريبة من العرب (يريد التركيب البيانى) ألا وسمعتها من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسمعته يقول : « مات حتف أنفه » وما سمعتها من عربى قبله) ا هـ

ولكننا نرى فى لامية السموأل بن عادياء المشهورة قوله :

وما مات منا سيد (حتف أنفه) ولا طُلّ منا حيث كان قتيل

فكيف نوفق بين هذا وذاك ؟...

الرجاء أن تطرحوا السؤال على القراء ، ليجيب عليه من حضراتهم من يشاء .

(البصرة) خالد الشواف

الافصـــاح

المعجم العربى الفذ ، وهو خلاصة وافية للمخصص وغيره من المعجمات ، يرتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ، ويسعفك باللفظ للمعنى المراد ، يعين العلماء على وضع المصطلحات العربية فى العلوم المختلفة ، ولا يستغنى عنه مترجم ولا أديب ، ٨٠٠ صفحة تقريباً ، طبع دار الكتب ، أشرفت طبعته على النفاد ، ثمنه ٢٥ قرشاً ، يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الكبيرة ومن مؤلفيه :

حسين يوسف موسى
المدرس بالمدرسة السعيدية الثانوية بالجيزة

عبد الفتاح الصعيدى
رئيس التحرير بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)